سميح القاسم

سأخرُجُ من صورتي ذاتَ يوم..

قصائد

مؤسسة الأسوار - عكا

سأخرج من صورتي
ذات يوم

سميح القاسم

سأخرجُ من صورتي ذاتَ يوم

(قصائد)

مؤسسة الأسوار – عكا

منشورات مؤسسة الأسوار – عكا

الطبعة الأولى – ٢٠٠٠

جميع الحقوق محفوظة

الغلاف للفنانة ارينا كركبي

المطبعة العربية الحديثة – القدس – هاتف: ٦٢٧٢٥٦٤-٠٢

فاتحة

ورقٌ.

ورقٌ سيّدي.

إنه ورقٌ.

أشتهي ورقاً للكتابة يا سيّدي

لم يعد ثمَّ متّسعٌ فوق جلدي العتيقِ

كتبتُ عليه طويلا

ونُدوب الجراح القديمة. تلك سطوري

ليقرأها الناس لو يقرأُ الناسُ جيلاً فجيلا

سيدي. وثقوب سجائرك المطفأهْ

فوق جلدي، نقاطك فوق حروفي

وإيقاعُ أغنيتي المرجأهْ

*

ورقاً. سيدي

أشتهي ورقاً للكتابه

كي أعيد الكتابه

أن موتي دُعابه..

ألــــودائـــع

ودائعُهُم لا تُرَدُّ ولا تُستَرَدّ

ولا يدّعيها أحَدْ

ودائعُهُم هـهُنا..

للأبَدْ!

العذراء..

وُلدتْ ليلاً في إصطبلِ القاضي الميِّتِ للتوِّ. رأتْ
نصل السكّينِ على حبل السرَّة. (حامتْ طائرةٌ سوداءْ)
رأتْ سيفاً يقطرُ في قبضةِ والدها. لم تلثغ
"أُمّي" أبداً. كانت ثمّة مرضعةٌ في الإصطبلِ.
وكانَ أبوها الضخم يجدِّلُ شعر المرضعةِ بحدِّ
السيفِ. يغنّي ويقهقهُ مبتهجاً.
كبرتْ. مالَ عليها سائس خيل القاضي الميّتِ
والحوذيُّ. اغتصبتْها شلّةُ زعرانٍ في بيتٍ
مهجورٍ (قبل قليلٍ قصفتْه طائرةٌ..) هدَّدَها
والدُها بالقتلِ. وكانَ عليها أن تهربَ سرّاً
للمدنِ السفلى. عملتْ في الشارعِ (حفظتْ أسماءَ ضحايا
الحرب الكبرى..)
لفظَتْها أرصفةٌ شتّى. مرَّ عليها البحّارةُ من كلّ الأقطارْ

كانَ عليها أن تخلدَ للراحة. أن تمتثلَ لحكم
القاضي الميِّتِ. كان عليها أن تستُرَ عورةَ
والدها مقطوع الرأسِ. وعورةَ هذا العالم
(عانتُها لا تكفي!). ماتت خجلاً.
ماتتْ ليلاً. ماتت عاريةً إلا من أوراقِ الأشجارْ
ماتتْ عذراءَ.. يحفُّ بها عشرونَ ملاكاً..

أجنـــدة

بالماءِ على الرَّملِ. وبالنارِ على الثلجِ. ويُكتَبُ
بالشمعِ على أوراقِ البردي. يُنقَشُ بالدمعِ
على أستارِ الكعبة. يُحفَرُ بالليزر في جَبَل الصّوانْ
للعامِ الثالثِ قبلَ الهجرةِ زارتْني الحمّى في النورِ.
فرشتُ لها جسدي المسكونَ بهاجسِ
كونفوشيوس وبرؤيا يوحنّا وعذابِ الانسانْ
للعامِ الثاني قبل الهجرةِ فاضَ الوجدانْ
للعامِ الأول قبل الهجرةِ جَهزَتْ راياتي والتأم
الشملُ بكوكبةِ الفرسانْ
ألهجرةُ في الأوجِ. اكتمل نصابُ الآياتْ
من يُدركْ فليتبعِ أعمدة النار المقلعة على بحر الظلماتْ
من يُدركْ فليدخُلْ في الحمَّى وليخلدْ بالإيمانْ
ألهجرةُ قائمةٌ. والآتي آتْ

باسم ثلاثة ألوانْ

باسم الله القيّوم المقتدرِ الرحمن..

صباح الخير!

لا امتَثَلَ الوقتُ. ولا استجابت النذورْ
يا نَفَسي الأخيرْ
عقاربُ الساعات حولَ جسدي تدورْ
وحولها يدورُ جَسدي
وحولَهُ أدورْ...
ووحدَها سلطانةُ الأبدانِ وردةُ النُّعاسِ،
كانَ أن أَدركني النعاسُ،
في حديقة الماوردِ والبخورْ
قلتُ: أنامُ برهةً.. وعبرتْ دهورٌ!
ولحظةَ استيقظتُ من نوميَ،
بالبيجامة المرَقَّطَةْ
كنتُ شديدَ الجوعِ.. ماذا تُفطرُ النمورْ؟
وفجأةً. رأيتُ. رأيَ العينِ. في المرآةْ

بجانبي. بجانب السريرْ
غزالةٌ تقضُمُ عُشبَ موتها،
في غابة تضجُّ بالحياةْ
صحتُ: صباحَ الخيرِ. يا غزالةَ الصُدْفةِ،
والتهَمْتُها في شَغَفٍ،
وكانَ إفطاراً شهياً، لائقاً بالنمرِ الجسورْ،
ذي البيجامةِ المرقَّطَةْ

*

لم تستَعِدْ أسماءها الأسماءْ
لم يُسعف الدعاءْ
غَيَّبْتُ.. لا شتاءْ
لا غيمَ في الغيمِ.. ولا سماءَ في السماءْ
غَيبْتُ بالطبولِ والصنوجِ والزُّمورْ
يا مَلك البذورِ أَعط موتَنا،
ما يوقظُ الحياةَ في البذورْ!
ووحدَها سلطانةُ الأبدانِ وردةُ النُّعاسِ،

كانَ أن أدركني النعاسُ،

في خنادقِ الكفاحْ

قلتُ: أنامُ بُرهةً لتهدأ الجراحْ

وشاءَ أن يُدركني الصباحْ

ولحظةَ استيقظتُ من نوميَ،

بالبيجامة المخَّططَةْ

هَلعتُ. دونَ صَوْتْ

مُحِّدقاً بالموتْ..

حولَ حمارِ الوحشِ في المرآةْ

تَحَلَّقَ النمورُ والأُسودُ والضباعْ

وقبلَ أن يُعينَني النطقُ،

على تحيةِ الصباحِ.. أو تحيةِ الوداعْ

كانَ حمارُ الوحش،

بالبيجامة المخطَّطَةْ

إفطارَ أصدقائهِ.. في غابةِ الحياةْ

*

يا سيِّداتي سادتي.. الأبرارَ والخُطاهْ

يجدرُ بالإنسانِ في الإنسانِ،

أن يجتنبَ البيجامةَ المرقَّطهْ

ويحذرَ البيجامة المُخطَّطَهْ

يجدرُ بالإنسانِ.. أن ينامَ عارياً...

GOOD NIGHT

أُغنية حب فلسطينية

تقتُلني الغربةُ عن يديكْ
يقتُلني الشوقُ إلى عينيكْ
فافرُش بساطَ الريحْ
كوفيةً نسيجُها من وطني الجريحْ
تطيرُ
لا حاجزَ، لا شرطةٌ، لا تصريحْ.
تطير بي إليكْ.
فإنني مشتاقةٌ
مشتاقةٌ
يقتلني الشوقُ إلى عينيكْ
ناديتْ..
من أنتْ؟
لستَ فتى أحلامي
ولستَ نجماً سينمائياً

على صورته أبوحُ بالغرامِ
ولستَ طيفَ فارسٍ
يأتي على حصانهِ
من عالم الأوهامِ
ناديتُ..
من أنتْ؟
أنتَ الذي أسندْتَ ظهري
في وجوه العسكرْ
أنقذني من غازهمْ
منديلكَ المعطَّرْ
عَصَبْتَ بالزنابقْ
جُرحي،
وأطفأتَ على جبينيَ الحرائق
فصرتُ فيك أقوى
وصرتَ فيَّ أكبرْ
وإنني مشتاقةٌ
مشتاقةٌ

يقتلُني الشـوقُ إلى عينيكْ
فافرُشْ بساطَ الريحْ
كوفيةٌ من وطني الجريح
تطير بي من حائط البراقِ
من قيامةِ المسيحْ
تطيرُ بي إليكْ..

*

دعني أشُمَّ الحبقَ البيتيَّ في زنديكْ
دعني أُرح خدِّي على كفّيكْ
لأنني أُحبكْ
وأنني أُحبكْ
ينبُضُ فيك قلبي
ينبُض فيَّ قلبُكْ
وإنني أحبُكْ..
يا أنت يا عاصفة الشوارع
يا غضب الساحات
يا لهبَ الرايات

يا شهوة الخُضرةِ في المزارعْ
يا وجع المخيَّمْ
يُسفر في انطلاقةِ الملثَّمْ
يا بسمةَ الليلك في حديقةِ المدامعْ
وإنني مشتاقةٌ مشتاقةٌ
يقتلني الشوقُ إلى عينيكْ

*

أُفرشْ بساطَ الريحْ
كوفيةٌ من وطني الجريحْ
تطيرُ،
لا حاجز لا شرطة لا تصريح
تطير بي إليك
تطيرُ بي، تطيرُبي،
إليكْ..

(تلحين: سراندس كساراس
غناء: ريم تلحمي)

إعــــلان نــوايــــا

ليس لي في ذمة العالمِ شيءٌ
غيرَ موتي مرتينْ
مرةً، عمداً وعن سابق إصرارٍ
ومرَّه
خطأً، في فن تفسير الكلامْ
خطأً، في غرفة التعذيب من أجل السلامْ
فعلى السجن السلامْ
وعلى الارض السلامْ
وعلى السجان والسجن المسرّه

*

ليس لي في ذمة العالم شيءٌ
غير موتي وانبعاثي
بعد موتي وانبعاثي بين بينْ

ليس للعالم عندي أيُّ دَيْن
غير ما أضمرُ من شكٍّ
وما أُعلن من حزنٍ وحسره
عندما تعرض ثدييها على التجّارِ حُرَّه
وعلى ساحة ثوارٍ يتامى
تأكلُ الثورةَ ثوره!

*

ليس للعالم عندي أيُّ دَينْ
غير ما ينزفه القلبُ
وما يعزفه الحبُّ
وما ينسفه الرعبُ
بلغم الشفتينْ

*

ليس للعالم عندي
غير ما يلفظه برقي ورعدي
في متاهات " متى "؟ " كيف "؟ و " أين "؟

ليس للعالم عندي أيُّ دَيْن

*

وانا اعترفُ الآن،

بأني، صاحيَ العينين والقلبِ

شربتُ السمَّ من كأسي الأخيره

وأنا آخرُ أبناء عشيره

ذهبتْ فيمن ذَهَبْ

من قرونٍ غادرتْ بيدَ الجزيره

وانتهت في قبضةِ الرومان والفُرسِ أسيره

وقضت فوق الشعاراتِ

وما بين البياناتِ

ومن تحت الخُطَبْ

ذهبتْ فيمن ذَهَبْ

واسمُها، قيلَ.. "عربْ" !

*

وأنا مغتسلٌ من وَسَخ السيرك

ومن فِسْق الصياغةْ

في مواخير البلاغةْ

لستُ في اللعبةِ فلتصهلْ إذن

ما تشتهي الصيصان

والميدان

لـ " حميدان "

ولتنعمْ سُلالات الطويسيّين

ولتلعب بأمنٍ مُستَتبٍّ

فأنا أَرفضُ أن يَستُرَ عُريي

أيُّ ثوبٍ غير ثوبي

وأنا أسأل ربّي

لا تقابلني اذا جئتُ بوجهٍ مستعارْ

وبشَعرٍ مستعارْ

وبشعرٍ مستعارْ

وأنا أَرفض تهريجَ أخينا المتنبي

ورياءَ المتنبي

ونفاقَ المتنبي
ولجوءَ الملك الضلّيل والوغدِ امرىءِ القيسِ
إلى أقرب غَرْبي
نحنُ من نبعٍ
ولكنّا افترقنا.. من مَصَبٍّ لمصَبٍّ!

*

أصدقائي... "إن يكنْ لي أصدقاءْ!"
يا رفاقي البؤساءْ
يا أشقائي اليتامى الأشقياءْ
ليس لي أن اكتبَ النارَ بماءْ
وانا لا أُتقن الرقصَ احتفالاً
بسقوط الشهداءْ
وأنا لا أسرقُ النارَ، فحسبي
قبضةٌ من جَمْرها ناري ونوري
وابتدائي ومصيري
ورحيلي ونشوري

*

وأنا، يا إخوتي "إن لم تكن أُمِّي عاقرْ! "
أنا بالحاضر كافرْ
وأنا لا أشتري بطيخة المستقبل المجهولِ
إلا، مثلما قيلَ، "على السكِّين"
فالصفقةُ تاريخٌ وشعبٌ
وبلادٌ ومصائرْ

*

وأنا أُشهرُ حُبّي
مرةً أُخرى
شهودي الخَلْقُ والخالقُ
في عرسِ دَمي أشهرُ حُبي
لشبابيكي وأشجاري وأنهاري وشعبي
ولأطفالي وموالي وآمالي ودربي

*

ليسَ لي في ذمَّة العالم شيءٌ

غيرَ موتي مرتينْ

ليس للعالم عندي أيُّ دَيْنْ

جئتُ من قلبي

وأمضي كيفما أمضي، إلى قلبي

... بلاد الله.. قلبي!

سرطان المجد

ماذا يحدثُ؟ يتهدَّجُ ضوءٌ مخبولٌ. يتراكضُ
خلفَ كواليس المسرحِ تقنيّون صغارٌ. يلسعهم
صوتُ المخرجِ "يا حمقى. أين مهارتُكم؟" بعدَ
ثوانٍ يبتدىء العرضُ. اكتظَّتْ بالجمهورِ الصالةُ
. هيّا.. أينَ العارضةُ المغرورةُ؟ تتأخَّرُ دوماً عن
موعدها. "مُتعَتُها أن تهرأ أعصابي. صاحبةُ
جلالتها تمتلكُ قلوبَ العالمِ. ماذا يعنيها لو
ضربتْ قلبي السَّكتَةُ؟"

*

وجلالتُها،
تمتقعُ إزاءَ المرآةِ. طيورٌ سوداءُ ترفُّ على
جبهتِها. وتحدِّقُ ثانيةً في النهد المتورِّم. أوراقُ
الوردِ الذابلِ تتناثر حول الوردِ الطازج.. حول
القدمين الحافيتين. وتجذبها دوّامات الرُّعبِ إلى

القاعِ الداكنِ. قصرُ الأحلامِ الشاهقُ ينهارُ
عليها. تصرخُ وتلوبُ على زينتها. كفّاها
ترتجفانِ على رفِّ المرآة المحبَط. تسقطُ قارورةُ
عطرٍ باريسيٍّ فوق رخامِ الحمّام البارد. تجرح
قدميها الحافيتين شظايا القارورة. تهرعُ لليودِ
ويندلقُ النهدُ المتورِّمُ في المغسلةِ الورديّةِ
من يُسعفها؟
من يُسعف عارضة الأزياءْ؟
سرطان الثدي يفاجئها في أوجِ الشهرة. في عزِّ
الموسمِ. يقرعُ طبلُ الموتِ الضخمُ. ومن
يُسعفها؟. تتهدَّلُ في هاوية اليأسِ ذراعاها
تبكي في صمت. تصرخُ في صمتٍ. تنتحبُ
بلا صوتٍ. وتغيمُ الأشياءْ
من يُسعفها في مجد تناثرها. في الوردِ الذابلِ؟
في خَبَل الأضواءْ؟
من يُسعفُ عارضةَ الأزياءْ؟!

خمس نجوم..

أَطَلَّ على رمادِ الأرضِ
من نجمِ الدَّمِ الخامدْ
وصاحَ "محمَّد العابِدْ" (*)
لأنك لم تكن إلا بيادرَ قريةٍ صغرى
منازلها من الطينِ
وطاحوناً على نبعٍ
ومعزى في سفوحِ الملِّ،
تحت رَذاذ تشرينِ
وأطفالاً حفاةً،
في كرومِ اللوزِ والرمّانِ والتينِ
لأنكَ لم تكنْ وطناً بخمسِ نجومْ
أباحوا للجرادِ سنابلَ القمحِ
وباعوا سكّرَ البيت القديمِ،

بجفنتَيْ ملحِ
وباعوا زندكَ الموشومْ.
لأنك لم تكنْ وطناً يليقُ بلكنةِ الأغرابْ
بَكَوْكَ بأدمع السينما
على ثلجٍ،
على ويسكي،
على أردافِ راقصةٍ
تهزُّ لهم فتُضحكهم
وتبكي.. وحدها تبكي
وتوصدُ خلفها الأبوابْ
لأنك لم تكن وطناً
مضوا في غيرِ ميعادِ
ليأتوا دونَ ميعادِ
كأنّك في أقاصي الأرضِ
خانٌ سائبُ الأقفالِ وهميٌّ
ومرحاضٌ عموميٌّ

إذن. فليسكنوا زمناً
يطوِّح خارجَ الزمنِ
وكُنْ ما شئتُ يا وطني
وكُنْ ما شئتُ يا وطني
لأنك لم تزلْ وطناً
بخمسِ نجومْ
أجوب الأرضَ،
لكنِّي أعودُ لزندك الموشومْ
لأنك لم تزل وطناً
لأنك لم تزلْ.. وطني..

*محمد العابد – شاعر شعبي فلسطيني من قرية البعنة الجليلية، نسبت اليه ازجال كثيرة تبدأ بالقول " يا صاح محمد العابد ".. دون تأكد مما اذا كانت له او لسواه. وهكذا، تجسَّدتْ في هذا الشاعر الشعبي شخصية "الراوية" الفولكلورية متداخلة بشخصية الشاعر نفسه.

تعـريـف

قبلَ عصرِ الظلامْ

نحنُ كنّا معاً،

كنتِ حوّاءَ أُخرى، وكنتُ أنا آدماً

جدّدَتْهُ الحضاراتُ،

قرناً، لعقدٍ، لِعامْ

*

قبلَ عصر الظلامْ

كان سهلاً على الناسِ،

تعريفُ معنى الغرامْ

دونَ شكٍّ.. وما من كلامْ

نحنُ كنّا على الارضِ

معنى الغرامْ

قبل عصر الظلامْ!

مقهانا

قبلَ يومٍ، ساعةٍ، ثانيةٍ،

قبل عشرينَ سَنَةْ

كان مقهانا جناحاً حالماً بين السحابْ

ولنا في زحمةِ الروّادِ كُرسَيانِ:

وردٌ.. وشبابْ..

*

قبلَ يومٍ، ساعةٍ، رفَّةِ هُدْبٍ،

قبلَ عشرينَ سَنَةْ

عَرَّشتْ في رُكنِ مقهانا،

ورشّتْ عطرَها في راحتينا سَوْسَنَةْ

وفرحْنا بالغيابْ

بين كأسينِ

وأغصانِ دخانٍ وفراشاتِ ضبابْ

*

بعد عشرينَ سَنَهْ

خَطَفتْني من تفاصيل الحياةِ المُزمنَهْ

ذكرياتُ اللحظةِ المحتقنَهْ

خطفتني صوبَ مقهانا فلم أعثُر عَلَيْهْ

ليتني.. يا ليت.. لم أرجعْ إليهْ

لم يعدْ عشاً على غصنِ السحابْ

صارَ.. بوتيكَ ثيابْ!

رُخـامٌ لموتـكِ

لا تعودي من الردى. وليكُن لي
ما تكونينَ في غدي المُضمَحلِّ
وليكُنْ لي وهمٌ يشـعُّ ويخبو
زَبَداً مولعاً بحنفةِ رمْلِ
أنتِ ما أَنتِ. في حياةٍ وموتٍ
وأنا ما أنا، وبَعدي كقَبْلي

*

صعقتْني طقوسُنا ذاتَ صيفٍ
فاحترفتُ الشتاءَ في كل فَصْلِ
أُفُقاً واطئاً. وبرقاً، ورعداً
وصقيعاً. والقلبُ بالوجدِ يغلي

*

فَمُكِ الميْتُ قال للموتِ صمتي

والحياةُ الجحيمُ ضجَّةُ قوْلي
أنتِ بالموتِ خُنتني فتغرّبتُ
يتيماً في الأَرضِ من دونِ أهْلِ
عاصفاً، عاصفاً، جنونُ مناخي
لوثةٌ منكِ يا حبيبةَ عقلي
حولنا الأرضُ والوجوهُ وفينا
رقصةُ الجنّ للخرابِ المُملِّ

*

أيّ ذنبٍ يا بنتُ نحنُ اقترفْنا
ليقولَ القضاءُ: " ظَلّ. وظليّ " !
كُنْ. فكان الغرامُ كيف اشتهيناهُ
نهاراً يئنُّ شوقاً لليلِ
وأرادتْ إرادةُ الحزنِ أن تمضي
وأبقى ظلاً يعيشُ لظلٍّ
ماثلاً مُضْمَراً. أصيحُ بصمتٍ
آخ. من لي في ما أُكابدُ. منْ لي؟

والفُجاءاتُ تدَّعيني. فسيَّانَ لديها

عمري المديدُ.. وَقَتْلي

هكذا نحنُ، أنتِ تحتَ رُخامٍ

ورخامٌ يمجِّدُ الموتَ حَوْلي

حيثُ مَّرتْ خطاكِ في الأَرضِ أبني

من حنيني إليكِ "تاجَ مَحَلٍّ"!

موجٌ كثير الكلام...

رَسَمْتُ

رَسَمْتُ على الرملِ قلباً

ولا يعبثُ العاشقونَ

بما يعبثونَ على الرملِ

لا يرسمونَ وهم يرسمونَ

رسمت على الرمل قلباً

وفي القلبِ.. سهماً

رسمتُ على السهم حرفينِ

جاءَ من البحرِ موجٌ كثيرُ الكلامْ

فما من قلوبٍ على الرملِ

ما من حروفٍ على الرملِ

ما من سهامْ...

بــلا فــائــدة...

تقولُ "أنا عائدٌ"..

ويخطفكَ البرقُ مني

وما بينَ حزنٍ وحزنِ

أقولُ، يعودُ من الغربةِ البارِدَهْ

الى دفء حضني

ولكن.. بلا فائدَهْ!

*

أقولُ "أنا عائدَهْ"،

ويخطفني الموجُ من ساعدَيكْ

وما بينَ حُزني عَلَيّ

وخوفي عَلَيكْ

أقولُ "أنا عائدهْ"،

لأَطبَعَ قلبي على شَفَتَيكْ

ولكن.. بلا فائدةْ!

*

تمنَّيْتُ ظلَّكَ بيتاً
على تلَّةٍ مُبْهَمَةْ
وفي شرفةٍ منْه،
ترصُدُ قافيةٌ.. مَلْحَمَةْ
ووحدي أكون لَكَ المُلهمَةْ
وما بينَ كأسٍ وكأسٍ
وما بين كأسٍ وقُبلَةْ
ورقَّةِ نحْلَةْ
على زهرةٍ واعدةْ
وما بين بيتٍ وبيتٍ جديدِ
وقبلَ اكتمالِ النشيدِ
أُعدُّ لكَ المائدةْ
وتحملني للفراشِ على ساعديكَ
مع العتمةِ الوافدَةْ

تمَّنيتُ من كل قلبي

ومن كل حزني وشوقي ورُعبي

تمنَّيْتُ.. لكن.. بلا فائدَهْ!

*

لكَ اللهُ، كم شردتكَ الدروبُ

وراءَ الدروبِ

وراءَ غزالتكَ الشاردهْ

ليَ اللهُ كم حاصرتني القلوبُ

على نارِ مدفأتي الخامدهْ..

لنا اللهُ.. وجهينِ للغربةِ الواحدَهْ!

*

تقولُ "أنا عائدٌ"..

أقولُ "أنا عائدهْ"..

نقولُ، لعلّ الحياةَ ترقُّ

فكلُّ احتمالاتِها واردَهْ!

نقول، حبيبي، نقولُ نقولُ

نقولُ، ولكن.. بلا فائدهْ

بلا.. فائدَهْ!

موسيقى: منير بشير
ألحان: بشارة الخلّ
غناء: ريم شمشوم

إنطفــاء كلاوديــوس

على ضفّة النهرِ مزرعةٌ للكلامِ
قليلٌ من التَّمْرِ والبرتقالِ
وماءٌ شحيحٌ يسحُّ على صخرةِ الرعبِ مما
يكونُ
شيوخٌ. قساوسةٌ وربانيم،
والنهرُ يَضْمُرُ شيئاً فشيئاً
ويرحلُ سربُ طيورٍ شماليةٍ لن يعودَ
إلى قصبٍ يابسٍ. لن يعودَ
إلى سَفرٍ مرهقٍ دون جدوى.
*
على ضفّةِ النهرِ فجوةُ لغمٍ قديمٍ
وطفلٌ بلا قدمين،
يشاهدُ في ساحةِ الدارِ أرنبةً وكُراتٍ

ويحلمُ قفزاً وييأسُ عدوا

*

أنا كلاوديوسْ

أنا طفلُ مزرعةِ النهرِ،

بايَعني سادةُ القومِ قيصرَهُم

لا التباسَ

أنا كلاوديوسْ

مليك الزمانِ المتوَّجُ بالحزنِ

حاشيتي ثعلبي وحصاني وستونَ أفعى

وآخرُ حكّامِ آخرِ شبرٍ من الأندلُسْ

أنا كلاوديوسْ

أخذتُ وأعطيتُ ردْحاً من الوردِ والشوكِ

بُحتُ كثيراً وأقفرْتُ.

لا قمحَ للقولِ. لا ظلَّ للحُلمِ.

ما من ندىً للقطافِ

وما من سلالٍ وما من عنبْ

ولا ماءَ للبوحِ.

لا عشبَ بينَ طموحِ دمائي ويأسِ الخشبْ

ضمرتُ. ضمرتُ.

فلا قمري مبصرٌ نخلةَ البيدِ

طالعةً للنهارِ

وما من شموسٍ

تسحُّ عثاكيلُها بحليبِ الذهبْ

وأقفرتُ من حاجبيَّ

وأهداب عينيَّ

أقفرتُ من شفتيَّ

وكفيَّ

وانكفأتْ بي خُطايْ

رياحاً تهبُّ،

ولا تستثيرُ أناشيدُها شهوةً

في صبايا القصبْ

ولا بحَّةٌ في زفيرِ الأراغيلِ وَجْداً

ولا أنّةٌ من عذاباتِ نايْ

وَهَوْلي المخاضةُ

حولي المفازةُ

ما من جوادٍ وما من لجامْ

وضاعتْ قِلاعي

وضاعتْ ذراعي

وضاعَ ضياعي

وأوغَلَ فيَّ هلامُ الهُلامْ

أحطِّم أجراسَهُ ويحطِّم تَرْقوَتَيَّ

وأنثرُ فيه الحطامَ وينثرُ فيَّ الحطامْ

أنا كلاوديوس

على باب روما الرماد القديمِ وقفتُ

وما فتحتْ قلبَها

وقالتْ "ستملكني جسداً"

إنّما حرَّمَتْ حُبَّها

على ملك توَّجَتْه عروس النهارِ

بإكليلِ نورٍ
ولكنَّه اختارَ عرشَ الظَّلامْ!
أنا كلاوديوسْ
أنا زوجُ روما الكلامْ
وآخر حكّام آخرِ شبرٍ من الأندلُسْ
أنا كلاوديوسْ
أنا كلاوديوسْ..

لم ينتبهْ رجلُ الفضاء لوردة حمراء تشعل في حريرِ
الغيم شهوتَهُ، استدارَ، وظلَّ منشغلاً برائحة الوقودِ
وظلَّ منهمكاً بعُطْلٍ طارئٍ
والأرضُ نائيةٌ
وليس له هناكْ
إنسٌ.. وليس له ملاكْ
لم ينتبه رجلُ الفضاءِ، هُنيهةٌ تكفي ليعبرَ
عُمرهُ الأرضيُّ، هوذا يمسِّدُ شَعرَه المبتلَّ بالشيبِ
المفاجىءْ
ويطوفُ من زرٍّ إلى زرٍّ، يضيقُ فضاءُ قمرتِه عليهِ
ولا منارات هناكَ ولا موانىءْ
لم ينتبه رجلُ الفضاءْ
وذوتْ عليه الوردةُ الحمراءُ، وانطفأتْ سفينتُه

وغابتْ نبضةٌ من عنفوان الأرضِ في مجد السماءْ

لم ينتبه رجلُ الفضاءْ..

رماد السُّكّر

رمادٌ على حفنة الماء، وردُ الحديقة تشعله شهوة الماءِ. أولاد هذا الزمانِ المشاكس لا يسمعون الكلامَ ولا يعبأون بورد الحديقة. لا بأس. هذا الرماد رمادي. رمادي على قهوتي (حمَّصوا بُنَّهم فوق ناري العريقه)

وقالوا " نبيعك بُنّاً بورد الحديقه " !

ولا بدّ من حفنة الماء. لا بدَّ من قهوة الصبحِ حفنةُ ماءٍ بكأسِ ترابٍ وحفنةُ بنٍّ بكأس تراب ومن جسدي الجمر للقادمين من الثلج شوقاً لدفء الجذوع الحريقه

وفي هذه النار ما يهب البنَّ نكهته. أشعِلوني إذن مثلما تشتهون. على مهلكم قلِّبوني بإيقاع ألسنة النار كي ينضجَ البُنّ. هذا الرماد رمادي. رمادي على قهوتي والحقيقةُ تشرب قهوتها برماد الحقيقه

رمادي على حفنة الماءِ في قهوة الصبح. بنُّ الحياة العدوّة يبحثُ عن سكَّرٍ في رمادِ الحياة الصديقه..

صورة والدين راحلين على جدار منزل جديد

أبي. يتململ في الصورة الآن. هذا حفيفُ عباءَته. تلك تكّات ساعته الأوميجا. إنه الآن يرمقني راضياً عاتباً قلقاً. وأبي يُطلق الآن بعض الأنين المكابر. تهرع أمي إليه تمهّد راحتها للجبين المغضّن بالنزع. تعطي الوسادة قلباً رصيناً. أبي يتململ في الصورة الآن. أمي تغادر صورتها لتطوف قليلاً بأرجاء منزلنا الجبليّ، تباركه وتحنُّ لبيتٍ قديمٍ تركناه للذكريات وأصغر أبنائها. تتذكّر أيام أسرتها الخاليات وتسقطُ من ذقنها دمعةٌ في كتابي الجديد

وأذكُرُ خوف أبي من رحيل ابنه شاعراً في الفضاء البعيد

ولم يكره الشعر. كان شديد الولوع بصرصعة المتنبي ويأنف من نزوات النواسيّ. لم يكره الشعر لكنه لا يريد لأبنائه مهنة الشعر. أذكر كم قال لي كن طبيباً إذا شئتَ أو فانصرفْ للمحاماة يا ولدي إنما الشّعر لا يُطعم المرءَ خبزاً. وأذكُرُ أذكر وجهاً من القمح والورد في راحتين تغيبان شيئاً فشيئاً تغيبان تحت ركام

الجليد

وأخرجُ من صورتي ذات يومٍ وأُسْلم وجهي لنسل جديد..

تعب المعـــادن

إذن بلغتْ شأوها رحلتي. وانتهيت إلى حيث كان ابتدائي. قطعت

المحيطات واليابسه

على شهقة القشة اليائسه

وأتقنت كل اللغات ودجّنتُ خيل الجهاتِ وروضتُ حزني كما

تشتهي الكرة البائسه

إذن آن لي أن أدخّن ما ظلَّ من جسدي. آن لي أن أقول كلامي

الأخير وأوصدَ كهفي على سرٍّ أسراره وأعيدَ إلى أهله حارسَه

جناحاي في البحر. ريشي ثقيلٌ.. إذن فلأُصعِّد قليلاً. هنا الشمسُ.

هيذي النار تأخذ ريشَ جناحيَّ شيئاً فشيئاً إلى كوكبِ الحاسَّة

السادسه

وها أنذا أتلاشى رويداً رويداً.. وأهوي على الصخر. لا أبصر

الصخرَ في غبش اللحظة الناعسه إذن.. بلغت شأوها رحلتي..

وحـّدوه!

لم يعد للعجيبةِ ماءٌ فلا خمر يا أصدقائي. سكرنا كثيراً وغاضت عيون المياه

وانتهى مهرجانُ العجائبِ واكتملتْ دورةٌ في الزمانِ لتبدأ من بدئها أحجيات الحياه

لم يعد للعجيبةِ ماءٌ فلا خمر..

والربُّ في مجده قائمٌ. وحِّدوه

دائمٌ بجلالته.. مجِّدوه

لم يعد للعجيبة ماءٌ فلا خمر في الماء لا ماءَ في الخمر لا شيء غير العذاب القديم ووجه الإله

وشظايا انتباه

وبقايا صلاه

مجِّدوه..

وحِّدوه..

وحِّدوه..

الشرفـــة العاليـــة

لا بُدَّ لي،

كي أبصر الأعجوبة النائيه

وأُبصر الأعجوبة التاليه

لا بدَّ لي

لا بدَّ لي من شرفتي العاليه!

المنفضــة

تُدخِّنُ؟

أين ترى سوف تنفض حزنك

أين ستعفي من الكائنات

رمادَ سجائرك الراحلة

وليس على الأرض متَّسَعٌ

أين تنفض أوجاعك القاتلة؟

– على كوكبي المستميتِ

وفي نجمتي الآفلة..

أجل ليس ثمة مُتَّسعٌ لرمادي

على هذه الكرة الآهلة..

مقطع من محضر تحقيق

– وكيف تسمّي البلادَ؟

– بلادي

– إذن تعترف؟

– أجل سيدي أعترف

وما أنا بالسائح المحترف!

– تقول بلادي؟

– أقول بلادي

– وأين بلادي؟

– بلادُك

– وأين بلادُك؟

– بلادي

– وقصف الرعودِ؟

– صهيلُ جوادي

– وعصف الرياحِ؟

– امتدادي

– وخصبُ السهولِ؟

– اجتهادي

– وكِبْرُ الجبالِ؟

– اعتدادي

– وكيف تسمّي البلاد؟

– بلادي

– وكيف أُسمّي بلادي؟

– بلادي..

في هجاء ابراهيـــم

لم تكن رجلاً منصفاً. لم تكن رجلاً. أنتَ دمَّرتَ سيدةً فاضله
ذنْبُها أنها حملت منكَ نطفتك الآفله
لم تكن عاقلاً. حين قايضتَ أسرتك العاقله
بالجنون البهيميّ والنزوة الجاهله
سيّدي. لم تعد سيّداً منذ أغوتك أفعى النساءِ التي شرَّعت بابها
وأضاءَت مصابيح شهوتها كي يرى السابله
زينةً وبخوراً على سدّة الشبق القاتله
لم تكن رجلاً حين همّت يداك بطفلٍ صغيرْ
وذبحتَ الضميرْ
لم تكن رجلاً. لم تكن آدمياً سوّياً على صورة الله يا سيّدي. لم
تكن سيداً كنتَ ما كنتَ. ما أنتَ.
يا سيدي لم تكن غير وغدٍ حقيرْ..
بين فخذيه صحراؤه القاحله..

وألاعيب غانيةٍ سافلهْ

لم تكن سيِّداً

لم تكن رجلاً..

إقْرأي.. راحتي الكتابْ

لحضوري وللغيابْ

واحفظيني، تلاوةً

كلُّ ما دونها سرابْ

أنا يا بنتُ كاهنٌ

زوَّجَ الشمسَ للضبابْ

وتخطّى صلاتَهُ

ذاهباً حيثُ لا ذهابْ

حاملاً كبرياءَهُ

في ثوابٍ هو العقابْ

آخ يا بنتُ. آخِ من

لعنةِ الصمتِ في العذابْ

فاقرأيني، وأشعلي

شهوةَ البرقِ للسحابْ
واذكريني مُهاجراً
من ترابٍ.. إلى ترابْ

نســاء النبــيذ

النساءُ اللواتي عَصَرْنَ بأقدامهنَّ
نبيذي المعتّقَ من ألفِ عامٍ وعامْ
يستعدْنَ كؤوسي الجديدةَ، يا صاحبي
ويُعدْنَ الغرامْ
صحوةً. في عناقيدها سكَراتُ المُدامْ
وصنوفُ الجوى وصروفُ الهيامْ

*

ووجوهُ النساء القديمات. يا صاحبي
ونشيدي الحلالُ وصمتي الحرامْ
دمعةٌ فوق خدِّ الغمامْ
مسحتْها الرياحْ
ليطلَّ الصباحْ

وينامَ الكلامُ المباحْ

*

صاحبي. آخ يا صاحبي. آن لي أن أنامْ

آن لي

أن أعيد نساء النبيذ الى الكرْمِ

كرمِ الكلامْ

والسلامْ..

نجوم كعك العيد

عائدٌ عائدٌ

وبأية حال يعود إلى حالنا العيدُ؟

مرتبكاً مرةً. جامحاً مرةً.

ذاكراً ناسيا

عارياً كاسيا

إنما يُقبل العيدُ في موعدِهْ!

مستعيداً ثيابَ احتفالاتهِ

من رفوف خزائنه ومطاوي احتمالاتهِ

داعياً أمسَهُ،

للطعامِ المعدِّ لَهُ في غَدِهْ

يُقبل العيدُ في موعدهْ

بنجومٍ من الكعك، ينثرها نجمةً نجمةً

تتساقطُ أزهارها من قميص الغروبْ

فوقَ عُري الشعوبْ

*

يُقبل العيدُ منبهراً،

ويوزِّع كعكَ الخطايا

على طبقٍ من ذنوبْ

واهباً خوفَهُ نجمةً نجمةً

نجمةً

للصغار الذين يموتون جوعاً على الأرصفَةْ

في ظلالِ البنوك

وأجهزةِ الأمنِ والمعرفَةْ

نجمةً للحبالى اللواتي يبعنَ المواليدَ

قبلَ الولادة،

للأُسر المترفَةْ

نجمةً لشهيد يرى كيفَ تُمحى صكوك الشهادَةْ

كيفَ يُتقنُ تزويره خبراءُ القرايا

كما يشتهي خبراءُ السرايا

وكيف تصير الإرادةُ
لا ما تشاءُ الإرادَهْ
لجنودٍ يرونَ ازدراءَ البلاد التي تزدري حربهم
فيشاءون لا ما تشاءُ القيادَهْ
نجمةٌ للبكاءْ
في سجونِ النساءْ
نجمةٌ لأُفولِ الشباب الحزينْ
في زنازين طاغيةٍ،
ولدتْه التواريخُ في غفلةٍ من كتابِ السنينْ
نجمةٌ لطيور البراري التي نسفتْ عشَّها
طلقةُ البندقيَّه
للزهورِ التي حاصرتْها الصناعاتُ
وامتهنتْ لونَها الشهوةُ المعدنيَّه
في رنين الكؤوس الثريَّه..
نجمةٌ لمرِّضةٍ ضربتْ موعداً للحبيبْ
إنما لزمتْ شُغلها

لتُعينَ المريضَ الكئيبْ

في غيابِ الطبيبْ..

نجمةٌ للصبيِّ الذي مزّقتْ والديه،

قذيفةُ طائرة جامحة

قرأ الفاتحَةْ

وأعدَّ لإخوتِه لقمةً،

ثم رافقهم في الطريقِ إلى المدرسَةْ

مُرهَقاً بالسؤالِ الملوِّعِ عن عملٍ

في بلاد الدمِ المُفلسَةْ..

*

نجمةٌ للصبايا اللواتي يودِّعنَ عشّاقهنَّ الصغارْ

في الرحيل وراءَ أسرَّةِ أطفالهم،

حيث يمضي القطار

نجمةٌ لأسى الانتظار

وعذابِ الحصار

نجمةٌ للقراراتِ تلو القرارات حول القرار

للصياغاتِ في هيئة الأمم الساخره
بأضابيرها ودساتيرها
ومواخيرها العامره
نجمةٌ لرجال المطافيء في النوبةِ الثانيه
لسلالمهم. لخراطيمهم. لصهاريج خوفهم القانيه
نجمةٌ للأبِ المترمِّدِ في النارِ،
بين ذراعيهِ تصرخُ طفلتهُ الناجيه
نجمةٌ للمقيمين في شرطةِ السيرِ
بين الحديد المعجَّنِ والجثث الداميه
*
نجمةٌ لمذيعات C.N.N وللبسمةِ السابيه
في ختامِ التقارير عن نكبةٍ
ضربتْ قريةً نائيه..
للمذيع الأنيقِ بأخبارِهِ الكاذبيه
للمغنّي وللراقصه
ولسمفونيا أَلَمي الناقصه

ولهذا الغلامِ المبعثَرِ "مايكل جاكسون"

لثورِ "مَدونا" المناوِبْ

ولثوبِ "مَدونا" المشاغِبْ

*

نجمةٌ للزمانِ الضريرْ

في المكانِ البصيرْ

بالدعاياتِ للپيپسي كولا

ومسحوق سانو الخطيرْ

ولرابسو العليّ القديرْ

*

نجمةٌ لنساءِ الملذّاتِ في شرقِ آسيا

حُملنَ على الشاحناتِ،

من الموقع العسكريِّ الذي حرّرتْه بنادقهنَّ

(انتهت ثكناتُ المليشيا.. وصارتْ وكوراً

لمافيا السياحة والهيروينْ

وغدتْ رايةَ الثائرينَ على الأجنبيّ اللعينْ

خرقةٌ عند بابِ الزمانِ الهجينْ

وانتهى جنرال الكفاح

قائداً للسماسرة المتخمينْ

تاجراً للنساءِ، ومستورداً للسلاحْ!)

*

نجمةٌ لبقايا بقايا الضميرْ

نجمةٌ للوجومْ

بعد حرب النجومْ

نجمةٌ لكلامي الأخير

في كتابي الأخير

للحياة التي أشتهي أن تدومْ

نجمةٌ لدمي

نجمةٌ.. لدمي..

لغز إغتيال بروفيسور "س"
في معهد الفنون الجميلة

صرختْ عاملةُ التنظيف في رُعب. وأهوتْ فوق سطل الماء مغشيّاً عليها. أفلتتْ من يدها خرقتُها المبتلّةُ الزرقاء. غطّى شعرُها الأشيبُ شَعر المِكْنَسَةْ.

كان أستاذ الفنون بروفيسور "س" المهيب الملهم المعروف بالطيبة منْهاراً على كرسيّه الجلديّ في المكتب. والسّكينُ في الصَّدر إلى المقبض. كاللوحة ملقاةً على الحامل. بعضُ الأحمر القاني على جانبها الأيمنِ من أعلىً يسحُّ. ارتَعَشَتْ عاملةُ التنظيف في البدء. تلاشتْ لحظاتٌ قبل أن تستوعبَ المشهَدَ. كانتْ صرخةُ الرعبِ ملاذَ الوهلة الملتبسَة.

هُرع الطاقمُ والطلابُ. واستدعوا رجالَ الشرطة. انسلَّ من الحشد غُلامٌ زائغُ العينين. لم يفطن إليه أحدٌ. سارَ على العشبِ وئيداً. ثم

غطّى وجهَهُ الشاحبَ بالكفَّين. واستلقى على المرجة مغموراً بدفء النَّسَمات المشمسَة.

وعلى الشرفةِ في المعهدِ بنتٌ تتعرَّى لذبولِ الشمسِ والورد. وتبكي للعصافير التي تخرجُ من لوحتها الأولى إلى الشرفة. تبكي:

كيفَ لي أن أُدهشَ الألوانَ من بعدك يا مولاي؟ مَن يُسعفُ فرشاتي على الخوفِ الرماديِّ؟ ومن يُرشد قلبي في بساتين الغرامِ (الضوءِ والظلِّ) ومن يُنصفُ حزني؟

بعد مولاي الذي علَّمني أن أمزج الأشياءَ كي أستخرجَ الألوانَ في حبٍّ. فتصحو من مَواتِ الأرضِ. تصحو وتصلِّي وتُغنِّي

أيها القاتلُ يا مُخبرَ أحزاني عَلَيّا

أغمدِ السكّينَ فيّا

وأرِحني!

*

تمتَمَ الضابطُ: لا شكَّ بأنَّ السيد المغدور لم يحسبْ حسابَ القاتلِ الآتي إلى مكتبِهِ. لا بدَّ من

معرفةٍ سابقةٍ تقترحُ الأستاذَ للقاتل. لا بدَّ إذن.

من ههنا الجاني. فمن يستنطقُ الجثَّةَ؟ من

يكتشفُ السرَّ؟ لهذا اللغزِ بابٌ واحدٌ. لو تفتحُ

الجثَّةُ هذا البابَ لانفكَّ حجابُ الأُحجيه

ولعادتْ من ركامِ الأسرِ والمنفى خفاقاً، واستردَّتْ

روحَها الألوانُ. وارتدَّتْ إلى الفرشاة أسرارُ

القماشِ الفاتحِ المبخوع بالصدمة. وامتدَّتْ خيوط

النور فوقَ الكدمة المُستعصيَةْ.

*

أَدْخَلوا عاملة التنظيفِ مستشفى المجانين. وعادوا

واجمين. انطفأوا في الصمت. صلَّتْ طفلةٌ في

ساحةِ المعهدِ جُنَّازاً خريفيّاً. ونثَّتْ لوحةٌ (فيها

ملاكانِ خُلاسيّان) بالأحمر. وانثالَ الرمادُ

لم يُصَدِّقْ! هَلعَ الرسّامُ. فانسلَّ من اللّوحة وجهٌ

زائغُ العينين. ما شأن الغلامِ الباهتِ المنسلِّ

بالمغدورِ؟ هل كان هو القاتل؟ هل للمقبضِ الدّامي

إلى أغواره السودِ امتدادٌ؟

*

طالَ تحقيقُ رجالِ الشرطة. امتدَّ عقوداً دونَ جدوى. يئسَ الضابطُ. لم يُسعفْهُ في فضِّ غموضِ اللغزِ خيطٌ من دليلْ.

قال للقاضي العصابيِّ: تعِبْنا سيّدي القاضي. تعبْنا. دون هذا القتل، سرٌّ مستحيلْ

غَضِبَ القاضي. وألقى اللومَ في سخطٍ على الشرطة. منهاراً على كرسيِّه الجلديِّ.

والضابطُ (في اللوحةِ) مُغبَرٌّ ذليلْ

*

أطفأوا النورَ على المنبرِ. شكراً مجلسَ الأمنِ. وشكراً، ووداعاً. نامَ حرّاسُ الميادين. وفي الفجرِ أتتْ عاملةُ التنظيفِ للشغلِ. وحيّتْ حارس المحكمةِ الجهمَ. فلم ينبسْ بحرفٍ. دلفتْ بالسطلِ والممسحةِ المبتلَّةِ الأهداب. كان المكتبُ

الثالثُ بعد البهوِ مفتوحاً. دنتْ منهُ (لماذا بكَّرَ القاضي؟) ودوَّتْ صرخةُ الرعبِ فخفَّ الحارسُ الجهمُ. وخفَّتْ شرطةُ الحيِّ. وفي صمتٍ ثقيلْ باشرَ الضابطُ تحقيقاً عصابيّاً لحلّ اللغزِ في معضلةِ القاضي القتيلْ

....

كانَ منهاراً على كرسيِّهِ الجلديّ. والنصلُ إلى المقبضِ في الصدرِ. من الناحيةِ اليسرى. وما زال الدمُ القاني من اللوحة مبهوراً يسيلْ..

لا يعرفون السنديان

لَهَواتُهُم بُحَّتْ. جلودُ طبولهم قُدَّتْ. ونثَّ لعابُهم
من شهوةِ الأبواقِ نثَّ سدىً..
سدىً هم ينشدون له المدائحَ
ذاكرينَ صفاته الحسنى،
وهمْ لا يعرفون السنديان!

*

هرَأوا النهوضَ إلى المنابرْ
والغطسَ في لُجج المحابرْ
بحثاً عن الكلماتِ في صدَفِ البلاغةِ والبيانْ
توقاً لوصف السنديانْ
لكنَّهم،
لا يعرفون السنديانْ!

*

كتبوا على الأشجار سيرتَهم

وحزّوا في الجذوعِ طريقَهُم

سهماً يحثُّ السَّهم،

قالوا في سريرتهم:

" سيتبعُنا الخلودُ إلى مضاجعنا الأخيرةِ! "

هَلّلوا للنرجسِ الحاني على أوشالهم

كتبوا قشورَ الوهم،

والتجأوا إلى أسرارهم

لم يفقهوا ما تُضمر الغابات في سرٍّ الفصولِ

تعرَّتِ الأشجارُ من قشرِ الخلودِ- الوهم

ضاعَ السهمُ تلوَ السهم

من جهةٍ إلى جهةٍ وراءَ الريح

ضاعتْ في اختمار الأرضِ بالأمطار،

بالقشرِ المبعثر في الجهاتِ

-جهاتُهم ضاعتْ-

وضاعوا في المكان بلا مكانْ

ضاعوا بلا صَخَبٍ

وقيلَ مضوا وقيلَ قضوا،

لأنّ قلوبَهم خفقتْ بعيداً عن حدود النار

وانطفأتْ على حدِّ الدخان

ولأنهم،

لا يعرفون السنديانْ!

*

لم يحلموا سيراً على الأقدامِ في الأحراش

لم تخدشْ نعومَتَهم نتوءُ البرِّ

من شوكٍ ومن عشبٍ فجائيٍّ

ولم يصغوا لعزف الريح في صالاتِ خالقها،

استضافوا الورد في الصالون

واختلقوا مروجاً من عروقِ الشمعِ والجبص الملوَّنِ

صَعَّدوا جَبَلاً بلا عَرَقٍ يسحُّ على عمود الظَّهر

صاغوا الصَّخْرَ من ورقٍ مقوّى

قانعينَ بنعمة التشبيه

منكفئينَ للصُّوَر الملوَّنة الصقيلةِ

في مجلاّتِ الصباحِ

مطرِّزين بُخارَ قهوتهم بعصفورٍ على الشبّاك

لم يخذلهُم الحبرُ المدجَّنُ

في السباقِ بلا رهانْ

بين الأصابع واللسانْ

شغفاً بوصف السنديانْ

لكنَّهم،

لا يعرفون السنديانْ!

*

نَشَدوا الرثاءَ،

استنشدوا الشعراءَ

قيلَ رثاؤهمْ صعبٌ،

وهم قتلى من الأفلامِ في السينما الرديئةِ،

ينطقونَ شهادةَ الشهداءِ وفقَ النصِّ والسيناريو،

للمخرجِ المجهولِ أن يغتالَهم بالكَتْ..

يسحبهم مُساعدُهُ من الديكور،

مبهورين. منتفجين في دور الفدائيِّ الملطّخ بالدهانْ

وخبيرةٌ المكياج تُغدقُ قطرةَ الدمع المفبرك

للممثِّل والمُشاهد،

إنَّ شبّاكَ التذاكر أفقُ أرض الله قاطبةً،

وآخرُ لعبةٍ في السيرك آخرُ فرصةٍ للبهلوانْ

في وصفِ سحرِ السنديانْ

لكنهم،

لا يعرفون السنديانْ!

*

خَرَجوا من الأريافِ والمدنِ الوضيعةِ

باحثينَ عن الطعامْ

في مَشغَل الأيدي الرخيصةِ

واستقرّوا في الكلامْ

بين المصابيحِ الغريبةِ والظلامْ

واستُنطقوا، فتمنَّعَتْ لغةٌ

وأرتَجَ بابَهُ جُرحٌ عميقٌ

واستقامَ الزورُ والبهتانُ للنطقِ المنمَّقِ

واستعدَّ المهرجانْ

لإزاحة الحُجُب الكثيفة عن خبايا السنديانْ

لكنهم

لا يعرفون السنديانْ!

*

سبحانَ ربِّ الحزنِ والكلمات

يمنحُ ثُمَّ يمنعُ كيفَ شاءْ

سبحانَهُ في رمله المتحركِ المنصوبِ ميزاناً

ليوم الدينِ،

في أحكامِ دوّاماتهِ العمياء،

في سرِّ المشيئةِ والقضاءْ

سبحانَهُ في خلقهِ الأحياء والأموات

في الأحياء أمواتاً

وفي الأمواتِ أحياءً
وفي المتلجلجين التائهين على الفَضاءِ بلا فَضاءْ
ألضائعين من المكان الضائعِين على الزمانْ
للجُلَّنارِ دعابةٌ فيهم
وللزيتونِ مهزلةٌ
وحزنٌ ساخرٌ في البيلسانْ
ويفاجئون السنديانْ
بالنومِ، في قيلولةٍ خرقاءَ.. خارجَ ظلِّهِ
ويغازلون السنديان
بهياكل العظم المعرَّى في شفوف الطيلسانْ
ويمجِّدون السنديانْ
ويعدِّدون صفاته الحسنى،
وهم،
لا يعرفون السنديانْ
لا يعرفون السنديانْ
لا يعرفون السنديانْ!!

في رثاء أبي الحسن المَرِينيّ

(أثناء زيارة سميح القاسم للمغرب، رافقه موظفان من وزارة الشؤون الثقافية هناك في جولة بين أطلال مدينة "شَلاّ" التاريخية، على ضفّة نهر "الرقراق"، مقابل مدينة "سَلاَ" العريقة والمفعمة بالحياة، على ضفّة النهر المقابلة. في جوار أطلال أحد المساجد القديمة، نبّه المرافقان المغربيّان ضيفهما الشاعر إلى أنه يقف على بعد ذراع أو أقلّ، من قبر الملك المغربيّ أبي الحسن المرينيّ، أحد ملوك بني مَرين الذين انقضت بضعة قرون على زوال ملكهم.

وكان أبو الحسن ملكاً شجاعاً وفارساً مقداماً وراعياً كريماً للحضارة العربية الإسلامية في ذلك الرباط الباسل على تخوم أوروبا. إلى جانب القبر الطلل المهمل قبران طللان مهملان لعقيلة الملك أبي الحسن المرينيّ ونجله.. وكان للمشهد البائس الموجع أن يفتح من جديد جرحاً قديماً في أعماق الشاعر...)

وقوفاً بِه صاحبيَّ.. وقوفاً بهذا الطَّلَلْ

ألا ولنُخفِّفْ هُنا الوطءَ يا صاحبيَّ،

أديمُ الثرى جسدٌ لمليكٍ عظيمٍ

لواعجُ نَدْبٍ قديمٍ

تَمرَّسَ بالموتِ بينَ السيوفِ

وبينَ الحروفِ

وليسَ هُنا الموتُ خطباً،

ألا إنَّها، صاحبيَّ، الحياةُ

الحياةُ على الذلِّ خطبٌ جَلَلْ..

وقوفاً بذكرى السريِّ المبجَّلِ، نَسْرِ "مَرينْ"

وقوفاً بقبرِ المليكِ المَهينْ

لعلَّ بكاءَ الضميرِ المعذَّبِ، يوقظ أحياءَنا الميِّتينْ!

*

وقوفاً به صاحبيَّ.. وقوفاً بهذا الطَّلَلْ

فمنْ أبَدٍ لم يضِعْ،

آنَ أن نستعيدَ الأَزَلْ..

وقوفاً به، وَذْراني مع القبرِ،
أسكُبْ عليه دموعَ اغترابي
وأنثُرْ ورودَ عذابي
وأكتُبْ على مرمرِ الوهمِ بأسَ المراثي وحزنَ الأَمَلْ
وذكرى المليكِ البَطَلْ..

*

أخاطبُ قبركَ
يا أيها الملكُ المغربيُّ العريقْ
أُخاطبُ سرَّكَ جَهْراً
ليسمعَ عَسْفُ العدوِّ وخوفُ الصديقْ
لعلَّ القبورَ الجديدةَ تصغي
وجذوةَ أمواتنا تستفيقْ
لعلَّ سياط الهوانِ
تحرِّكُ صمتَ العروقْ
أُخاطبُ قبركَ،
حزني الرياحُ وصوتي الحريق..

*

على شاطيء الأطلسيٍّ التقينا قديماً،

مشيتُ إليكَ

مشى المتوسِّطُ فيَّ. إليكَ

وسارتْ على خُطُواتي صحارى العربْ

وسارتْ صَلاتي مَعي،

ومشتْ أُغنياتي إليكَ،

وطارتْ على جانحيَّ حروفُ الذَّهَبْ

إليكَ. على شاطيء الأطلسيِّ البعيدِ

لنفتحَ في ظُلُماتِ المسافة باباً..

سألتُ: "أتهدرُ بالعربيّةِ؟"

قلتَ: صلاتي صلاتُكَ

كنتَ فتيّاً كقلبي

وكنتَ قويّاً كشعبي،

لكزتَ جوادكَ عبر المضيقِ،

وحطَّ بُراقكَ نجماً على الساحل الإيبريِّ،

وحطَّ بُراقي
على نجمةٍ في المدارِ الذي لم نَجُسْ
وقيل لنا: إنها الأندلُسْ!
ألا فلتكُن وردةٌ للرحيلِ وتفّاحةٌ للتعبْ
وضوءاً لشمس العلومِ
وعطراً لعُرس الأدبْ!

*

وعشنا طويلاً،
بَنَينا قلاعَ العبادةِ والمجدِ والكيمياءْ
غَرَسنا مآذن أحلامنا خلفَ حدِّ الفضاءْ
وقُلنا حدائقنا. واستضأنا،
بنارِ محابرنا.. وبنورِ السماءْ!

*

وعشنا طويلاً،
أبا الحسنِ الشَّهمَ.. فَهْدَ "مرينَ"
وعشنا طويلاً،

ولا تاجَ للمُلكِ، غيرِ الكتابْ
وتوقِ العطاش
إلى ما وراءَ السَّرابْ..
أبا الحسنِ الشَّهمَ.. قَبْلَ " مرينَ " ،
اجترحنا الحياةَ على الموتِ جيلاً فجيلا
وعشنا طويلا
تشيِّدُ.. لا للثوابِ
وأمدحُ.. لا للمديحِ
ونفترعُ المستحيلا
فماذا استباحَ الصهيلا
ومنذا أضاعَ الصَّليلا
وكيفَ استحالَ الموشَّحُ،
بعد الصُّداحِ البهيِّ نواحاً ذليلا؟
*
أبا الحسنِ انهضْ من الموتِ حيّاً جميلا
وأصغ إليَّ قليلا

وحدِّقْ من القبرِ. حدِّقْ قليلا

لتُبصرَبي

ماثلاً دونَ أنقاضِ قبركَ.. حيَّاً، وظهري

ينوءُ بأنقاضِ عمري

بعبءِ ذراعين في الأرضِ،

بيتي.. وقبري!

*

سواسيةٌ نحنُ صرنا.

أبا الحسن الشهمَ، قبركَ تذوي عليه الزهورُ،

وما من ربيعْ

ويذوي دمي في بلادٍ تضيعْ..

سواسيةٌ نحن صرنا،

مليكاً أطاحَ به الموتُ تحتَ الترابْ

وشاعرَ مُلكِ

يطيحُ به الموتُ فوقَ الترابْ

ألا أيهذا المرينيُّ يا صاحبي،

أخذتني الحرائقُ دهراً،
وكلٌّ الذي ظلَّ منِّي
شرارةُ حزني
تضيءُ.. ولَمّا تَنُسْ
هنا.. وهنا.. أندلُسْ!

*

قليلٌ تُرابكَ،
أَعلمُ أن ترابَ الجسومِ قليلٌ
وأن الملوكَ رعايا لدى الموتِ
أعلمُ أن التواطؤَبين الرّدى والزمانِ
ثقيلٌ
وأبكيكَ..
أبكي وأعلمُ أن بكاءَ الرجالِ الرجالَ
انكسارٌ نبيلٌ
وأنَّ التأسِّيَ يا صاحبي مستحيلٌ..
وأبكيك.. أبكيكَ..

ذاهلةٌ عن بكائي اللقالقُ
حارسةٌ الموتِ حولكَ
منشغلاً عن بكائي النخيلُ
بما تفعلُ الكاميرا في يديْ سائحٍ
من بلادِ الفرنجةِ
يا صاحبي اختصَرَتْك المقاديرُ في صورةٍ
يتسلّى بها العائدون إلى مجدهم من رحيلكَ
يدرسُها عالِمٌ كَلَّفَتْهُ بكَ الأرخيولوجيا،
ولهذا الصديقِ القديمْ
إقامتهُ في الجحيمْ
وثورتُهُ في الجحيمْ..

*

قليلٌ تُرابُكَ،
يا أيها الميِّتُ الحيُّ،
حقّاً.. قليلٌ تُرابُكَ،
لكنَّهُ آخرُ الأسئلهْ

وهاجسُ حبّةِ قمحٍ تئنُّ:
أريدُ نهوضاً من الموتِ..
في سنبُلَةْ
أُريدُ نهوضي من الموتِ..
في سُنبُلَةْ!!

أميرة الآس

لجوادي أن يستريح قليلا
من جموح الجنون جيلاً فجيلا
ولناري أن تستقرَّ على جمرٍ متاحٍ
حسبتُهُ مستحيلا
كم بلادٍ فتحتُها بيتَ شعرٍ
وسماءٍ طويتُها منديلا
فليكن لي على يديكِ ابتداءٌ.
لانتهاءٍ على يديكَ جميلٍ
وليكُن لي ألا أعيش قتيلا..

لجوادي أن يستريحَ الى حفنةِ ماءٍ
وبين كفيك نهرٌ
وهَبَ الآسَ مجدَهُ والنخيلا

فامنحيني من نعمةِ الماءِ عُمراً
سلسبيلا،
قَستْ هجيرةُ حزني واغترابي
وكنتِ، لو كنتِ، بيتي
وسلامي، وكنتِ ظلي الظليلا
يا ابنةَ الآسِ، والأسى،
قتلتْني من قديمٍ في كربلاء المراثي
قتلتْني سلطانةُ الوجدِ وَجْداً
فابعثيني بلمسةٍ منكِ حياً
وفتياً. وحالماً. وجميلا
واذكريني. وانسي إذا شئتِ
حَسبي أنني كنتُ في رضاكِ نزيلا
واذكريني. وانسي إذا شئتِ
حسبي أنني الآنَ لا أقولُ كلاماً
أنذا الآنَ،
من سماء دموعي وندى الآسِ

يهمسُ اللهُ في قلبي صلاةً لله

أبكي خشوعاً

وأصلي تغريبتي ترتيلا

وبكِ الآنَ استهلُ صلاتي

وبكِ الآنَ لا أقولُ كلاماً

باسمك الآن قلتُ: لا. لن أقولا!

فخُذيني من الصلاةِ شهيداً

وأضيئي على ضريحِ وليٍّ،

بدماءِ نذرتُها، قنديلا

واقبليني مشرداً ضلّيلا

لجوادي أن يستريح قليلا

ولقلبي أن يستريح قليلا

ولحزني أن يستريحَ قليلا

ولموتي أن يستريح قليلا

فابعثيني الى الحياةِ قليلا

واخلُدي أنتِ في الخلودِ طويلا

حسبيَ الآسُ في الفراقِ. ونذري

لشفيعي بشط دجلة، خَضري،

وشموعٌ تسري على الماءِ ليلاً

ونهاراً على سرابكِ تسري

ودموعٌ ظننتُها لن تسيلا

يشهدُ الله أنني أتمنى

عن جميل الحياة صبراً جميلا

وبكِ الآن، لا أقولُ كلاماً

باسمكِ الآن قلتُ: لا. لن أقولا!

جمــرة...

وأخيراً،

شهواتٌ جيدةٌ للتبغ الجيدِ

نارٌ حاذقةُ الطعمِ

دخانٌ في أرجاءِ العزلةِ

يتلوى شبقاً وإثارهْ

هاتوا لي الشمس، رجاءً،

جسدي يتشظّى في جسدي

أزَلاً يتشظى في الأبدِ

وأريدُ الجمرةَ

كي أشعلَ سيجارهْ

هاتوا لي الشمسَ.. رجاءً!

كـــل أسمائهـــم..

يأخذونَ عليَّ انتمائي إِليّ

واحتفائي بصوتي

واكتفائي بموتي

أسفي. آخ يا أسفي،

كل أسمائهم،

سقطتْ من يديّ!

إيمـــان

يعرف الحبُ
ما يجهَلُ الملكوتُ
يعرفُ الحبُّ
أني وُلدتُ على دينهِ
وعلى دينهِ
سأموتُ!

موجـةٌ وكثـيـب

يُذكِّرُني يأسُ عينيك بالبحرِ
كان اجتيازي الصحارى إليكِ سراباً
أنا ابنُ الصحارى فمالي وللبحرِ
موجكِ شيءٌ
وشيءٌ كثيبي
وجئتُ بكل اشتهاءِ الرمالِ
الى حفنةٍ من زبيبِ
وكأسِ حليبِ
حضرتُ وشاءَ الردى أن تغيبي
أنا ابن الصحارى...

مطرٌ على كشك الصحف

مطرٌ فجائيٌّ على صحفِ الصباحْ

مطرٌ،

يسحُّ الحبرُ من لغةٍ على لغةٍ

تغيب ملامحُ المانيكان عن وجهِ الغلافِ

ويختفي وجهُ الرياضيِّ الفخورِ بكأسه الأولى

يذوبُ الكحلُ في عينيْ ممثلةٍ

ينزُّ الأحمرُ القاني

وتنفتحُ الجراحْ

في صفحة الآراءِ

يغلقُ بابهُ الكشكُ الصغيرْ

مطرٌ،

على العدد الأخيرْ...

سقطـوا...

كانوا للشاعرِ قيثارةْ
كانوا أشعارَه
أزهارَه
وطفولة شعبٍ وبلادٍ وحضاره
كانوا
خانوا
هانوا
سقطوا من إيقاعِ الشاعر
سقطوا من بينِ أصابعِه
سقطوا في منفضةِ الشاعر
سقطوا،
كرمادِ السيجاره!

فُراقيّة للاجئين السياسيّين في مقاهي أوروبا

لغةٌ بيت آبائها وطنٌ. تدّعي وطناً غيره. بيتُ
آبائه لغةٌ غيرها.
لغةٌ تدَّعي وطناً
تدّعي وطناً ليس يقرأ فيها سوى الانحناء لدى
صيغة الأمر "أعط– وأثمرْ لنا!" نحن أسياد
ماويّة الأرض والطقس. نأمر باسم الحديد
وننقش بالنارِ أسماءَنا في جلود المواليد. جئنا
بنور الزمان الجديد. لتبصرنا في مراياك نحن
الحضارة، نحنُ القصاصُ ونحن الخلاصْ
فلتكنْ إن تكنْ كيفَما يشتهيك الرصاصْ!؟
*
لغةٌ تدَّعي وطناً ليس يُتقنُ لكنتها الأَجنبية، لا

يستسيغ رطانة ضبّاطها. لا يطيق بنادقها
واقتحام عساكرها منزلاً وادعاً. لا مناص إذن من
دمٍ ساخنٍ ساخط. لا مناصْ
لغةٌ تدَّعي وطناً.
وطنٌ يرفضُ
أمّةٌ تنهضُ
وسرايا انتباه جراحاتُها أعينٌ في الظلام الحضاريّ
لا تغمضُ
وعلى كلِّ بابٍ تُدلّي يد الرُّعبِ أنشوطةً. ولكل فمٍ
قفلُ طاغيةٍ. والحصارُ حصاران. للحاجز
العسكريّ اتجاهان. لليأس موتان. للموت
وجهان. والوطن المستباحْ
واحدٌ وجهُهُ. أحدٌ. كان لا بدّ من خطوةٍ للوراءِ.
ويخطيءُ نصلُ الرياحْ
عنُقاً صاعداً من كهوفِ الظلام الى قممٍ تستميل
الصباحْ

كان لا بدّ من خطوةٍ للوراءْ

ريثما تتآخى خيوط الجهات نسيجاً يليقُ بمجد اللواءْ

كان لا بدَّ من هجرة الرُّسُل الاوفياءْ

ليعدّوا لهم ما استطاعوا..

ولا بدّ أن يعبروا

والزحام شديد على الجسر. والطقسُ مضطربٌ

وهدير المياه ثقيلٌ بصمتِ الضحايا. ولا بدّ ان

يعبروا. حولهمْ للغزاة عيونٌ. ومن خلفهم

مخبرون يدسّون مزقة قمصانهم لكلابِ الأثَرْ

حولهم خطرٌ دائمٌ داهمٌ من خطرْ

وعليهم عبورُ البلاد الى ملجأ وعليهم تلافي

الضبابِ ونبضِ الحذرْ

كان لابد ان يعبروا بوصايا قياداتهم وضراعات

زوجاتهم. كان أطفالهم نائمين. انحنوا فوق

أعناقهم. كبحوا لَفْحَ قُبلتهم. وتحاشت مواجعُهم

سبباً للبكاءِ. اذن لن يطيلوا النظرْ
في وجوه الصغار النيامْ
لن يطيلوا السلامْ
آن أن يتقنوا هرباً ناجعاً. لجموا حزنهم بالوقار
الرسوليِّ. والتثموا بالصلاةِ وكوفيةٍ من قماش
الظلامْ
ومضوا في مجاهيل هجرتهم. تحت إبطِ الدليل
مصائرهم. انما رحمةُ اللهِ والليل واسعةٌ.
والمنافي مهيأة ومقاهي أوروبا القديمة جاهزةٌ
لانتهاء الصدى وابتداء الكلام.

*

كان لا بدّ ان يعبروا. عبروا مقسمين بغربتهم أن
يعودوا على صهوات الظَّفَرْ
أو تكون الشهادات ميعادَهم بعد نأي المزار ولأي
السَّفَرْ
عبروا حالمين بأبوابهم. لائبين بباب القدَرْ

حبرُ غربتهم بين أجفانهم. في مقاهي اوروبا
القديمة حلّتْ عليهم نبوءَاتهم. حرثوا ورقاً
ناصعاً وأهالوا بذار الجنونِ كلاماً يرتبُهُ الحزنُ
والخوفُ حرفاً فحرفاً. بكوا لأصابعهم. حولهم
لغةٌ لا يجيدونها وذهولُ النوادل. أسعفهم بين
حين وحين صديقٌ جديدٌ تغرّبَ للتوّ. كانت
تحاصرهُ الشرطة الأجنبيةُ في بيتهِ. غير أن
عجوزاً من الحيِّ شقّتْ له باب سرٍّ، على زمنِ
التُّركِ كان ملاذ أبيه اذا طوّق الجند منزلَهم
ليسوقوا الغلام الفراريَّ للحربِ. كيفَ تركتَ
البلادْ؟
كيف صبرُ الأهالي بوجه الجرادْ؟
هل رأيت الجماعة قبل خروجك؟ أُمّي المريضة
تقتلها غربتي وأبي رجلٌ.. صابرٌ. غير أن هموم
العيالْ
يا رفيقي تهدُّ الجبالْ

يا رفيقي وغائلةُ الجوعِ ذلٌّ وحكم الأَجانب داءٌ

عضالْ

إيه. لا بأس يا صاحبي. دمنا جسرُنا بين حالٍ

وحالْ!

*

في مقاهي أوروپا التقوا.. طالباً جامعياً من

القاهرةْ

ومُدرِّسةً لاحقتْها عيون الجواسيس في القدس

والناصرةْ

وخطيباً من الشام طاردهُ الأجنبيُّ. ورسامةً

حرموها نخيل العراق. وعامل غَزْلٍ وشغِّيل

صُلْب من المغرب العربيِّ الكبير وليبيةً ثائرةْ

وأديباً تعلَّمَ من أرز لبنان ما قالت اللغةُ النافرةْ

وخليجيةً شاعرةْ

*

في مقاهي أوروپا التقوا بين جرحٍ وجرحٍ.

أضاءوا لواعجهم بالدموع العفيفة. لابدّ من

سخطنا. آخ لا بدَّ من نارنا الطاهرةْ!

واشتهوا قهوة الهالِ والجمرِ من حطب السنديان

اشتهوا صيحة الـ "يا هلا!". فرحوا بمكاتيب

أحبابهم وبكوا حالمين بعودتهم في التوابيت او

مُشرِعين لمجد السمواتِ والارض راياتهم.

جمعوا حزنهم، إنما اقتسموا الأرغفةْ

وعلى قلقِ الحبِّ والحُلمِ والموتِ والمعرفةْ

أَتقنوا كل لهجاتهم مثلما أتقنوا لهجة الأرصفَةْ

وعلى حُرقة الذكرياتِ وأشواقهم للديار التي لم

تكن في الهوى مسعفَةْ

باركوا ليلهم بالمواويل عن حُبِّ قيس وليلى. وعن

غربِة العاشقِ المجحفه..

*

أَيها الليلُ. لا تردع الهائمين على وجههم دونَ

وجهٍ. ويا ايها الليلُ دعهم يعيدوا كما يشتهونَ

مواويلهم

حسبُهم انهم تركوا في البلاد تفاصيلَهم

حسبُهم انهم ههُنا لا هنُا. حسبهُم انهم يشبهون

ملامحَهم في المرايا. يوازونَ أشخاصَهم. إنما

تركوا في البلاد تفاصيلَهم، واستعاروا قناعاً

لوجه الرحيلْ

واستعاروا الخُطا. واستعاروا السبيلْ

والعزاءُ الكثيرُ وراءَ العزاءِ القليلْ

أنَّ قلب الدليلْ

لا يزالُ الدليلْ

من مقاهي أوروبا الى منزلٍ في الصعيد الى

منزلٍ في الحجاز الى منزلٍ في الجليلْ

حسبُهم انهم كلّما لعبتْ قربهم طفلةٌ. ذكروا طفلةً

في البلاد المُيتَّمةِ النائيهْ

كلما ضوّأتْ شرفةٌ في المنافي استثارتْ لواعجهم

شرفةٌ في منازلهم باكيهْ

كلّما مسّ أهدابهم طائرٌ في المساء القصيّ
استعادوا عصافير بستانهم وحواكير جيرانهم
واستعادوا أساطير حبّهم الدامية
كلّما فَتّحتْ في حدائق غربتهم وردةٌ فتّحتْ بين
أضلاعهم ندبةُ الطعنةِ الغافية
كلما ابتسمتْ لهم امرأةٌ ضحكتْ في مدامعهم
ساقيةْ
من كروم الغرام العصيّ السخيّ بأدمُعهِ الدانيةْ
..
*
لم يغبْ عن هواجسهم وطنٌ ملءَ أعيادهِ ضاحكٌ،
تحت أصفاده عابسُ
ومدىً عُرسُ خضرتهِ شجرٌ يابسُ
لم يغبْ فرحٌ باشتعالِ الشرايين في سجن طاغيةٍ
قلبُهُ سجنُهُ الدامسُ
لم يغبْ عن هواجسهم فرحٌ خطفتْ لونَهُ دمعةٌ حين

قيلَ لهم إنِ بعض الرفاق ارتشوا

ووشوا

أسفوا لانكسار طفولاتهم، أسفوا لمقاعدهم في

زمانِ الدراسة. للحلم بالوطنِ الحرِّ. رانَ على

العيش والملح ما يشبه الموتَ واختبلَ الهاجسُ

واستعانوا ببعض الجنون الحكيم فلم يسقطوا..

لم يغب عنهُمُ فرحٌ بائسُ

لم تغب دمعةٌ ليس من ملحهم ملحُها اليائسُ

❋

ليلةٌ تتشهّى النهارَ. نهارٌ يتوقُ لليلتهِ. وقتُهم غير

ما تعرفُ الوقتَ ساعاتُ هجرتهم، تتخطّى

الدقائقُ أعوامَهم. والثواني فصولٌ. وللحرِّ

والبردِ حمّى وغيبوبةٌ. أيها الليلُ يا ليلُ يا عينُ.

سَبِّل رموش الغريب على حُلُمٍ هادىء. أرهقتْهُ

الكوابيس. يا ليلُ يا عينُ والدارُ نائيةٌ والمناديلُ

نازفةٌ. والتأسّي قصيٌّ قصيّ

وبكاءُ الغريبِ عزاءٌ عصيّ

*

كان لا بدّ أن يعبروا مرةً.. عبروا مرّتينْ
واستراحتْ توابيتُهم. واستراحتْ بيارقُهم.
تاركين لنا ألف دَيْنٍ ودَيْنْ
وأنا طفلُ راياتهم. وأَنا نجلُ غاياتهم.. وأنا بينَ
بيْنْ
وأنا ماثلٌ دونَ أبوابكِ المُترَفَةْ
يا مقاهي أوروبا انظري. هل ترينَ على قسماتي
اغترابَ رجالي القدامى؟ انظري هل ترينَ
الحنينَ القديمَ الى وطنِ المحن المُسرفَةْ؟

*

لكِ شكري الجزيلُ. احتفيتِ بثوّارِ أهلي، وغيظي
الجزيلُ. احتفيتِ بمن رتّبوا فيك قتلي، وصاغوا دعابتكِ
المكلفَةْ..
يا مقاهي أوروبا انظري يا أوروبا اذكُري

عبروا جسرَهم.. حاولي الآن أن تعبري

حاولي أن تبوحي بسرّ خطاياك: عادوا من الموتِ

بالموتِ.

عادوا من الذكريات التي لم تمتْ فاذكريهمْ..

وعادوا فقومي إذن كفّري

عن خطاياكِ. قومي إذن كفّري

عبروا.. عبروا.. عبروا..

آن أن تعبري

كفّري

واعبُري يا أوروپا اعبُري..

ألفـــراء

نحن كنا أخاً وأخاهُ. انتمينا لسرٍّ قديمٍ. ولدنا
معاً تَوْءَمينِ وُلدنا هنا من قرونٍ. لقابلةٍ كافأتْها
قبيلتنا ببعيرٍ ونَخْلَةْ
قيل: كيف نُسمّي الغلامينِ في زمن التسمياتِ
العجيبةِ؟
قالَ أبونا: لهابيلَ صنوٌ. وصنوٌ لقايين..
قالوا: إذن يستقيم هجيرُ الحياةِ بظلٍّ التعلَّةْ
ونشأنا معاً بخرابِ التقاويم والكائناتِ. تكاثَر
فينا العذابُ المعتّقُ في ملَّةٍ تلوَ ملَّةْ.
إيه.. إيه
حسناً، إنهم إخوتي..
إخوتي، بسكاكين فاكهةٍ يسلخونَ فرائي.
فرائي ثمينٌ بأعين زوجاتهم، ويليقُ بحفل

سْوارِيهْ!

وعلى مهلهم. بدبابيس ربطاتهم يثقبونَ يديَّ،

لتسهيل أمرِ مساميرهم، يومَ صلبي على

خشبٍ طيبٍ من بلادي الجميلهْ

إيه.. إيه..

ذات حفلِ سْوارِيْه

صاحَ شيخُ القبيلَهْ:

آنَ ان تصلبوهُ جهاراً نهاراً. ألا إنهُ ولدٌ كافرٌ

يدّعي العِلْمَ بالفرقِ بين الرذيلةِ في عُرفنا

والفضيلَهْ

كافرٌ يُنشدُ الشعر للناسِ في زمن اللغة

المستحيلَهْ

*

بسكاكين فاكهةٍ يسلخونَ فرائيَ. لكنهم

يهرعون لتقشير فاكهتي بالرماح الطويلهْ

والسيوفِ الصقيله

وفرائي يدفّيءُ أعناقَ زوجاتِهِم...

حسناً، إنهم إخوتي!

يكفـــي!

عَبَرْتُ الطقوسَ. جميعَ الطقوسْ

تجرَّعتُ كلَّ الكؤوسْ

وأُدركُ أني كبرتُ. كبرتُ

وأعلمُ أني أمدُّ الى الموتِ كفّي

ويرمقُني صاحبي الموتُ

يرمقني في حنانٍ وعَطْفِ

يصيحُ: " تريَّثْ قليلاً! "

وأهمسُ: " يكفي! "

واحة

خلفَ هذا الكثيبِ لنا واحةٌ. أمهلوني قليلاً.
أتيحوا اغتسالي ببعضِ السرابِ. تعبتُ من
الركضِ خلفي لأُمسكَ بي لحظةً قبلَ مَوْتي.
يا رفاقي ويا اصدقائي القدامى انزعوا جسدي
الظلَّ من ظله الجسدِ. استوقفوهُ قليلاً لأُدركَ
في الوقتِ وقتي
خلفَ هذا الكثيبِ لنا راحةٌ. أَسندوا توقكم
دونَ يأسٍ من التمرِ والماءِ. أصغوا معي لأغاني
البناتِ الصغيراتِ تحتَ النخيلِ ولا تتبعوا
صوتَ صمتي
يا رفاقي ويا أصدقائي. لنا أن نموتَ كما
نشتهي. إنما لم يزلْ للرجاءِ مكانٌ وراءَ
الكثيبِ القريبْ

ولنا أن يكونَ الغريبُ قريبَ الغريبْ
ولنا واحةٌ
ولنا راحةٌ
في ديارِ الحبيبْ
والذي راح منّا. سيأتي
بعد هذا الكثيبْ!

باقـــة ورد

لبائعةِ الوردِ هذا التوسُّلُ!

أرجوكِ أن ترسلي باقةَ الوردِ باسمي

الى ديرِ راهبةٍ تتذكَّرُ أحبابها الميتين

قُبَيل الصليبِ بيومٍ أخيرٍ

وحلمٍ أخيرٍ

وتبكي على شوكِ أنقاضهم وتُصلِّي

لأجل مساكينها...

وتُصلِّي

لأجلي...

فانتازيا

سأنزعُ عن أمير البحرِ رتبتَهُ وشارَتَهُ
وأصرفُ فرقةَ الإعدامِ. لا أمراءَ بعد اليومِ
لا إعدامَ للأُمراءْ
سأبذرُ في بلادِ الله ألغامي
وأنغامي
لأحصدَ حنطةَ الارضِ القليلةِ،
بين نهر النيل والصحراءْ
وأمنحها نساءَ البدوِ في سيناءْ
وأهل النوبةِ البؤساءْ
وأجني التمر من وادي الفراتِ
وأطعمُ الفقراءْ
وأهدي المغربَ الأقصى
حروفاً من كتابِ القدسِ

عابقةٌ بعطرِ الغوطةِ الفيحاءْ
ويومَ الدين تكفيني
شفاعةُ قتلِ غولٍ واحدٍ في اليومِ
من غيلان هذي الأرض،
بين الماءِ راتعةً وبين الماءْ
وحسبي أنني بزجاجةِ المولوتوف
أُشعلُ كلَّ ما في باطن الصحراءِ من نفطٍ
وما في باطن الإنسان من بغضاءْ
وحسبي أنني أعطي عذابَ الشِّعر والشعراءْ
فماً ويداً،
وأنقذُ من مواخير الكلامِ براءَةَ القاموسْ
فلا رومٌ به تزني
ولا تلغو عليه مجوسْ
أنا المسكون بالقتلى وبالجرحى
أنا المنذور للأحلامِ
بالعربيةِ الفُصحى

هلا... مرحى!

أغاثتني حليمةُ مرةً أخرى

وقالت لي مباركةً: ألا فاعبُرْ

بلادَ الله باسمِ الله

وارفَعْ رايةَ البيداءْ

على الاشياء والأسماءْ

وقالت لي مباركةً:

ستنزعُ عن أميرِ البحرِ رتبتَهُ وشارتَهُ

وتصرفُ فرقةَ الإعدامِ

لا أمراءَ بعد اليوم

لا إعدامَ للأمراءْ!

*

سأنزعُ عن أمير البحرِ

رتبتَهُ وشارَتَهُ

وأصرفُ فرقةَ الإعدامْ

وأشهر رايةَ العربِ القدامى

من أقاصي المغربِ الأقصى

إلى وادي الكنانةِ

عابراً أرضَ الحجازِ

الى بلادِ الرافدينِ

الى بلاد الشامْ!

وأعدمُ فرقةُ الإعدامْ!!

مريمُ... لا تلديني يا مريم!

لا تلديني ثانيةْ
روحُ القُدُسِ أبي يتخلّى عَنّي
ويضيقُ المذودُ
يا أمي مريم لا تلديني
أوصدتُ على حزني بابَ الفرح المفتوحْ
أخطأتُ سبيلي
في وادي الموتِ الغامضِ
بين الجسد وبين الروحْ
خاصَمَني الفرّيسيّون
وخاتلني الرعيانْ
وتخلّى روحي عن جسدي
وتخلّتْ عن جسدي القمصانْ
ها أنذا يا مريم.. مصلوبٌ عريانْ

ها أنذا

ضاع صليبي الأوّل بين الصلبانْ

لا تلديني يا أمي

لا تلديني ثانيةً يا مريمُ

يوضاسُ تكاثَرَ بين الرُّهبانْ

وامرأتي تغسلُ قدمَيْ رجلٍ آخر بالطيبِ

تجفِّفُ بضفائرها قدميه وقبري

هيذي تستقدمُ عيد النسيانْ

*

في حضرةِ موتي صحتُ!

" أحبك يا أمي! "

لكنَّ الله أراد ثمارَ الحُبِّ له

وغلالَ الإيمانْ

وأنا يا أمي إنسانٌ.. إنسانْ

يا مريمُ

منّي الموتُ ومنك الغفرانْ

مَوْتي أرهقني يا مريمُ

أرهقني حزنُكِ

لا تلديني ثانيةً للموتِ.. ولا تلديني

يا أمي مريم

لا تلديني!!

نجــم

يَداكِ على كَتِفيّ

وخصرُكِ بينَ يديّ

وعيناي فيكِ. وعيناكِ فيّ

وقلبي على شفتيكِ.. وقلبكِ في شَفَتيّ

وتحتفلُ النارُ بالنارِ

والماءُ بالماءِ

والريحُ بالريحِ

في مهرجانِ الفضاءِ الخفيّ

نُقيمُ،

وتنسلُّ من تحت أقدامنا الأرضُ

راحلةً في المدارِ القصيّ

وتخبو نجومٌ،

ونسطعُ نجماً

تُهذِّبُ أسرارُهُ الفلكَ الفوضويّ...

خلفَ حُلمٍ ذهب..

لن تطولَ عليه ليالي التعَبْ
لن يطول انتظارُ أحبّائه الميّتينْ
في ضريحِ السنينْ
إنه موشكٌ أن ينامَ بلا يقظةٍ ثانيةْ
وتلفّين جُثته الغافيةْ
بقميصِ الحريرِ وشالِ القَصَبْ

*

لن تطولَ عليه ليالي التعبْ
يا التي أشْعَلَتْ فَمَهُ
في رمادِ الزمانِ الحزينْ
يا التي هَدْهَدَتْ دَمَهُ
بصلاةِ الرحيلْ
والبكاءِ الهديلْ...

... وبماءِ الذَّهَبْ

رسمتْ وَجْهَهُ

في أناشيدِهِ الباقيَهْ

*

لن تطولَ عليه ليالي التعبْ

يا صديقة أزهاره الذاويَهْ

إنه ذاهبٌ،

خلفَ حُلْمٍ ذَهَبْ...

ذاهبٌ،

دونما نأمة من أسىً أو غَضَبْ

ذاهبٌ.. يا حبيبتهُ الغاليهْ

ذاهبٌ،

لن تطولَ عليه ليالي التَّعَبْ...

نكـوص

ثابَ من وعكةِ المعجزاتِ إلى رُشدهِ* إنّهُ الآنَ
متَّزنٌ عاقلٌ* وَهْوَ يا سيّدي رجلٌ ميِّتٌ* رجلٌ
ميِّتٌ طيِّبُ القلبِ* لا حقدَ في صدرهِ* لا غليلَ
على أحدٍ من بني آدمٍ* إنما لا يطيقُ البراكينَ
خامدةً* لا يحبُّ الزهورَ من الشمعِ* يا
سيِّدي إنه ميِّتٌ فاضلٌ* هَمُّهُ قوتُ أطفالهِ
ومناهجُ تدريسهم* ثابَ من وعكةِ المعجزاتِ
الى شُغلنا بصنوفِ الطعامِ وأزيائنا*
والتزاماتِ زوجاتنا بالزياراتِ والإتيكيتِ
وأعيادِ ميلادنا* إنَّهُ مَيِّتٌ مخلصٌ للتقاليدِ*
منضبطٌ بالمواعيدِ* أخلاقُهُ لا غبارَ عليها*
ويا سيِّدي إنَّ صاحبنا مؤمنٌ بالقضاءِ
ومعترفٌ بالقَدَرْ

وَهْوَ يا سيِّدي جاهزٌ للسَّفَرْ

مَيِّتٌ جاهزٌ للسَّفَرْ

مثلَ كُلِّ البَشَرْ!

عــودة

وصـاحَ " محمَّدُ العابدْ "

بعيداً. ميّتاً. حيّاً. قريباً. صاحْ

خذي ميعادنا الخالدْ

خذي المفتاحْ

وعودي أنتِ للبيتِ

وخليّني هنا جسداً

مسجّىً خارجَ الوقتِ

بلا قبرٍ. بلا كفنِ

سوى ما شاءَ لي موتي

وما شاءَت وكالةُ غوثهم من ضجَّةِ الصمتِ

وما شاءَت جنازةُ غربتي

في زهرةِ القندولِ والبرقوقِ والزوفا

وبضعِ زنابقٍ وأقاحْ

وصاحَ "محمَّد العابدْ"

على أنقاضِه جسداً وروحاً صاحْ

خذي المفتاحْ

وعودي للمدى العائدْ

أنا سُجِّيتُ من زمنٍ

بلا قبرٍ. بلا كفنٍ

بعيداً خارجَ الوطنِ

خذي المفتاحْ

وحسبي أن تعودي أنتِ للوطنِ

وحسبي ان تكوني أنتِ في الوطنِ

وكوني أنتِ لي.. وطني!

تلك العابرةُ جسورَ الآس

لها ذكرُها في كتابٍ قديمٍ عن العشقِ. صنَّفَهُ الشيخُ "سين السموِّ"
تبارك في ما رأى وتنزَّهَ عن شُبُهات التقوُّلِ بالسِّيَر المغفَلَهْ/ لها
آيةُ الوجدِ في سورةٍ مقبلهْ/ ولي صَدَقاتُ السماواتِ والأرضِ.
لي تينةٌ قربَ زيتونةٍ. طورُ سينينَ يشهدُ. لي الكرمُ والحلمُ. لي
صلواتُ الكهوفِ الخفيَّهْ/ ومن "سينها" تبدأُ الأسئلَهْ/ ومن
"ألفي" تبدأُ الأبجديَّهْ/ وعن شَغَفي يأخذُ المؤمنونَ علومَ المحبة.
منزلةً منزلَهْ/ وبين يَديها حديقةُ آسٍ تُرتِّلُ في فلكِ العاشقين.
وتخضرُّ في ظلّها سُنبُلَهْ/ ولي آيةُ الوجدِ.
والوجدُ لي (الأمرُ للّه!) نحنُ لَهُ وَهْوَ فينا مَشيَّه/ وتوقٌ
ونيّه/ خروجاً على زمنِ الجاهليّه/ الى الكُتُبِ المُقفله/
وسجادتي ظِلُّها. وأُصلّي/ فلا شيءَ بعدي سواها ولا
شيءَ قبلي/ سواها.. مُربِّيةِ الجسمِ والروحِ في زَمَنِ
العارفيّه!/ لها ذكرُها في الكتابِ القديمِ. ولي ما تكونُ

على سُنَّة الآسِ. طالعةٌ من بهاءِ النخيل على جسرِ ضوءٍ يسمّونهُ ضلعَ آدمَ. دجلةٌ شاهدةٌ أنها منهُ. لي أن أراها مساءً على جسرِ آس. من الصالحيّة يمتدُّ منحنياً فوقَ دجلةٍ. سمَّيتُهُ ظَهْرَ تموز. دشّنتُهُ معبراً للجميلةِ. قدَّسْتُهُ جسرَ ليلى المعافاة. جسرَ العراقِ المعافى. وجسرَ الخليجِ المعافى. وبايعتُه جسرَ حُلمي القديمِ وحزني الجديد. وحلمي وحزني / وباركتُهُ قمري البابليّ / وها أنذا بعد ألفٍ وألفٍ أعودُ إليه. ومنهُ وعنهُ أُغنّي / وها هوذا بعد ألفٍ وألفٍ يعودُ إليّ / وأولدُ فيه. ويولدُ فيّ! /

*

موشحةٌ بالضبابِ أطلتْ. بروقاً على ليلِ صحراءَ. دوّامةٌ من رمالٍ تذرُّ بخوراً ومسكاً. أطلّتْ بتمرٍ كثير. تشهّى خطاها الرصيفُ وغازلَها كلُّ بابٍ وقلب: "ألا فادخليني سلاما"!.. تمنّى الرجالُ أصابعَها نسمةً من حريرٍ تباركُ أعناقَهُم وفراشاً يرفُّ على جَمْرِ أفواههم. حَسَدَتها الصبايا الجميلاتُ في خَفَرٍ مستثارٍ. تحسّرَ في شَبَقٍ عابرٌ يافعٌ:

"ليتني نجمةٌ فوقَ سُرّتها. ليتني شرشفٌ للسريرِ المنعَّمِ".. مَرَّت بحزني المعتّقِ ظامئةً لقرارة كأس إلهية. حاصَرتْني بناري/ وفكّتْ حصاري/ لأصرخَ وجداً ويغمى عليَّ...:مباركة في النساء. مباركة أنتِ فلتُثمري ما يشاءُ لك الله من ثمر الحبِّ والمعجزاتْ/ مباركة في النساءِ. مباركة أنتِ فلتبتدىءْ كيفَ شئتِ الطقوسُ. مباركة أنتِ ولتكتملْ كيفَ شئتِ الصلاة/ مباركة في النساءِ. مباركة حفنةُ الماءِ في راحتيك. ألا جَعَلَ اللهُ من مائه كلَّ أحيائه (ربما كنتُ من حفنة الماء في راحتيكِ!) اجعَليني إذن راعياً لخرافك. مغتبطاً. حولَ شبّابتي تحلُمُ الكائناتْ/ مباركة في النساء. مباركة في النساءِ. مباركة أنتِ في شغفي بالحياةِ التي زهدتْ بالحياةْ../

*

لها ذكرُها في الكتابِ. فكيف أزفُّ النذورَ الى زكريّا المقيمِ هناكَ لأجلِ نذوري؟/ وكيفَ أمدُّ جسوري/ إلى ربةِ

الآسِ في شط دجلة. كيفَ أُعانقُ ناري ونوري/ وأُظهرُ منها خفائي.. وأغمرُ فيها ظهوري؟/

*

بلا موعد كانَ موعدُنا بينَ بينَ. اقترفنا خطيئة عودتنا ألف عامٍ وألفاً إلى موعدٍ نسيته المواعيدُ في ملتقى مكّتي بالشآم. تذكرْتُ بغدادَ وابنيَّةً لا تُشبّهُ. لكنني لم أسلّم عليها. ولم تقتحمْ جلستي. كان حولي رجالٌ وكانتْ نساءٌ. خطوتُ بعيداً وراءَ الضجيجِ. انتبهتُ الى همسِ قلبي يئنُّ "انتظرْها قليلاً!".. وقفتُ على طللي زاجراً صمتَها المتوسلَ "من آخرِ الغيبِ جئتُ اليكَ. انتظرني قليلاً"!

عقدْنا الزواجَ على سنَّة الآسِ. كان الشهودُ لفيفاً من الحزنِ والصمتِ والعابرينْ/ وجوهاً بلا قسَمات. وصوتاً وما من رنينْ/ وقلنا لأولادنا: باركونا.. فها نحنُ.. ها نحنُ نُصبحُ أولادَكم في كتاب السنينْ!/

*

لها ذكرُها في الكتاب. لها ذكرُها في انحناء النخيلِ على شهدائي القدامى. وفي خشعة الشمسِ رأد الضحى لضريحِ وليٍّ تقمَّصني يومَ أن بدأتْ كربلاءُ. لها ذكرُها في هبوبِ الرياحِ من الشرقِ. في حُلم طفلٍ على شاطيء المتوسطِ يشتاقُ للنومِ في حضنِ بنتٍ خليجيةٍ أمّها من حسانِ العراقِ. ترفُّ مياه الخليجِ على قدميها وتصعدُ مرجانةٌ باللآليء قُربى وزُلفى. لها ذكرُها في انكسارِ المساءِ المهاجرِ. لي حَسَراتي عليها وصبري الجميلْ / ولي "حسبيَ اللهُ" ... نِعْمَ الوكيلْ /

*

يخاصمني في هواها رجالٌ من الإنسِ والجنِّ. هيّا اشرَبوا من نبيذي المعتّقِ كي تعرفوها. لحصرمكم موسمٌ عابرٌ في دهوري. وكَرْمي عصيٌّ عليكُم. ولن تُبصروا ما رأيتُ. ولن تقرأوا ما حفظتُ. ولن تكتبوا ما وَشَمْتُ. لكم قشرةُ الأرضِ. لي غَلَيان البراكينِ. لي الحمأُ العطرُ، ساذجةٌ ريحُ أطيابكُم. راودوها كما تشتهونَ. اطرُقوا بابَها.

استنطقوا قَلبَها/ ستمنحُ لهفتَكُم لُطفَها/ وتمنحُ أحداقَكُم عَطفَها/ وتحرسُ من حُبّكُم حُبَّها/ ولا تيأسوا.. رحمةُ الله واسعةٌ.. والكلامْ/ كثيرٌ..كثيرٌ...علينا السلامْ.../ تفرّقُ ما بيننا البيدُ.. يجمعُنا وجعُ البيدِ قيساً بربطةِ عُنْقٍ وليلى بِخُفٍّ مُقصَّبْ/ ولا الوصلُ يبقى.. ولا العقلُ يذهَبْ/ قبائلُ أحزاننا من سُراةِ القبائلِ. شيخُ عشيرتنا الوجدُ. ليلى تُبادلُ قيساً همومَ السياسةِ والشعر. طالَ الحصارُ وطالتْ حبالُ المشانقِ في قومِ ليلى. ويحزنُ قيس ويأسى ويغضَبْ/ ويُرجيءُ ليلى الى ثورةٍ لا تنامُ. ويوقظُ في ليلها ألفَ كوكبْ/ ويولدها طفلةً بجناحَيْ ملاك./. وطفلاً على ساحةِ العشبِ يَلعَبْ/ وتحتفلُ الأرضُ في عيد ميلادها من جديد.. وتأخذُ ليلى مداراً جديداً. ويولدُ قيس جديد. ويرحَلُ عن قَمَرِ الآسِ غيهَبْ/ ويضحكُ قيس وليلى. وتبكي الفُجاءاتُ: " لا الوصلُ يبقى.. ولا العقلُ يذهَبْ! " / كلامٌ وما من شفاه. كلام يرفُّ على الغَمْر روحاً وصوتاً: " من الثَّمرِ أنتَ وسوف

تـعـودُ الـى الـتَّـمْـرِ.. يـومَ تمـوتُ تحـلُّ الـبـنـاتُ غـمـار الـسـنـابـل فـوقَ ضـريـحـك.. يـوم تمـوتُ تحـلُّ جـدائـلَـهـا امـرأة أنـت مـن ضـلـعـهـا.. ويمـدُ الجـيـاعُ أكـفـاًتـئـنُ الـى صـنـمِ الـتَّـمْـرِ.. لا بـأسَ.. يـوم تمـوتُ سـتـبـدأُ رِدَّتُـهـم. يُسـألـون بـشـأنـك لـكـنـهـم يُـنـكـرون ثـلاثـاً ويـسـتـنـكـرونَ احـتـفـاءَ الـشـمـوس بـشَـمْـسِـكْ/ ويـومَ تمـوتُ يُـصـلّـي الجـنـازةَ مُـطـربُ عُـرسِـكْ!" / كـلام. يـدقُّ يـديَّ عـلـى خـشـبِ الـفـجـرِ. يـأخـذنـي مـن شـحـوبي الـى شـرفـةِ الـضـوءِ – كـم لـيـلـةً سـوف تـسـهَدُ؟ فـي لـيـلـة الـقَـدْرِ أسـرارُهـا يـا صـديـقـي. تـوضّـأتَ دهـراً بـنـارك؟ أحـسـنْـتَ.. لـكـنَّ فـي لـيـلـة الـقَـدْرِ أسـرارهـا المـطـبـقـة/ وبـعـض أضـاحـيـكَ لـم تـبـلـغ المحـرقـة/ عـلـيـكَ بـصـوفِ الـكـهـوفِ. عـلـيـكَ بـصـوفِ الـكـهـوف (حـريـرُك حَـنّ الـى الـشـرنـقـة!) / وأنـتـهـرُ الحـزنَ. آخـذُهُ مـن هـدوءِ الـسـهـولِ الـى قـمـم الـنـارِ والـصـلَـوات الجـريـحـة. أُدخـلُـه فـي الـتـجـاربِ. صـنـوي يـكـونُ ويـهـرمُ فـي صـرخـتـي المُـرْهَـقَـة:/ بـعـيـدان نـحـنُ/ بـعـيـدان نـحـنُ/ ولا الـعَـيـشُ يـصـفـو/ ولا الحـزنُ يـعـفـو/ ولا المـوتُ يـحـنـو/ بـعـيـدان نـحـنُ../

*

بعيدان نحنُ. لسْبحتنا أن تئنَّ بأوجاعها في انفراط أصابعنا للرحيلْ/ وتنثرَ حبّاتها في صدوع الزلازل. لا أُختُ روحي تراني ولا يدها في يدي. عطرُها في خلايايَ نبضُ الحدائقِ طافحةً بالندى والعصافير. " يا أختَ روحي" أنادي وقد هجعَ الكونُ عمّا نكابدُ فيه وعمّا يكابدُ فينا. وأصرخُ "يا أُختَ روحي" يئنُّ الصدى في الخواءِ المصفَّحِ بيني وبين التي ذكرُها في الكتابِ القديمِ عن العشقِ. من أين لي ما يتيحُ الجنونُ؟ ومن أينَ لي حكمةُ الفيضانِ (يدافعُ عن موته باختصارِ الطريقِ الى الموت) من أين لي هدأةُ الآسِ تحتَ ظلالِ النخيلْ؟/ وما أسبغَ اللهُ من نعمةِ الصبرِ في سنديانِ الجليلْ؟/

*

بعيدانِ نحنُ. ونحنُ أشدُّ اقتراباً من النارِ للنارِ والريحِ للريحِ والماءِ للماء.. كيف يكون العزاءُ؟ ومن يُلهم الصبرَ أهلَ القتيلْ؟/ ومن أينَ لي عِصمةُ القلبِ. هذا الموزَّعِ بين

مهبِّ العواصفِ والنارِ. هذا الملوعِ تحت ركامِ الخرابِ الثقيلْ؟/ وكيفَ أصوغُ الضراعةَ من أجلِ ما حملتُ واحتملتُ بها ولها في اختلاطِ الخطا واختلالِ المدى واختبالِ السبيلْ؟/ وكيفَ أُجاهرُ: يا ربّ لا شأنَ لي بالخراب المباغتِ بين العراقِ وبين فلسطين. وطّنتُ نفسي على ما يروقك. ربّي امتحنّي كأيوب. لكن أثبْ لي صوابي وضحكتَها في بقايا شبابي. ودمعتَها قربَ بابي. ولهفتها لاقترابي. وحسرتَها لاغترابي. أثبْ لي كتابي لأَحكُمَ عدلاً وأقضيَ بين المساكينِ بالحق. ربِّ استجبْ لدعائي بموتٍ سريعٍ (لأني حريصٌ على الوقت!) خُذني مع البرقِ. وانثُر رمادَ رمادي القليلْ/ على ذهَبِ البيدِ. وأنثُر على بيتِ أهلي القديمِ رسيساً من الضوءِ والملحِ. آمنتُ ألا إلهَ سواك. وأنّي الشهيدُ المناوبُ في آخرِ الأمرِ. لا شأنَ لي بالخرابِ ولا شأنَ لي بالخرابِ. وتشهدُ أني قُتلتُ مراراً وأنّي مراراً بُعثتُ لأُقتَلَ. ها هُم خصومي يدسّون لي السمَّ في الخبزِ والوردِ. سامحْ خصومي. وها هُم رفاقي

الأعزاءُ ها هُم يصبّونَ لي الخلَّ في كأس أعيادهم. وأباركُ أيديَهم. إن لي كبريائي / ويا ربّ دعْ لي عذابي بشوقي اليها/ وخوفي عليها/ ويسِّر لمن قتلونيَ. واغفرْ لهم. إنهم أصدقائي!/

*

كما شئتَ لي يا مليكي العصيّ على الوصفِ. يا أيهذا المليك الحبيبُ. كما شئتَ لي كانَ موتي الكثيرُ. وما بين موتٍ وموتٍ أُقيم الشعائرَ مبتهلاً طامحاً لرضاكَ على من أُحبُّ.. رضاكَ المؤجّلِ برداً على جسدي وسلاماً على مهجتي. وأُقرِّبُ ما وسعتْ أُضحياتي. خجولاً بحزني. حزيناً بخوفي على من أحبُ وتوقي الى طاقةٍ في السماءِ/ وما بين موتٍ وموتٍ أحجُّ كما ترتضيني. أحجُّ إلى كربلائي التي جاوزتْ كربلائي!/

*

وحيداً. بهذا الصهيلِ الأخيرِ أسيرُ على الماءِ. روحاً يرفُّ على القمْرِ. بعد نهوضي من الموتِ. أصعدُ ليلاً طويلاً

علـى درجِ الـلـيـلِ والـريـحِ نـحـوَ حـديـقـتـهـا. ربّـةَ الآس. أتـبـعُ أصـداءَ أغـنـيـةٍ يـائـسَـةْ/ تـئـنُّ بـهـا زهـرةُ الآس. جـسـراً غـريـقـاً الـى الـيـابـسَـةْ/ وأعـلـمُ مـن أيـنَ. لـكـنْ إلـى أيـنَ؟ قـولـي إلـى أيـنَ يـا زهـرةَ الآسِ. قـولـي ابـتـهـالاتِ جـسـمـك. قـولـي هـواجـسَ روحـك. بـوحـي بـمـا خـبّـأ الـحـلـمُ فـي لـيـلِ أجـفـانـكِ الـنـاعـسَـةْ/ وألـقـي إلـيَّ الـجـديـلـةْ. بـئـري بـدونِ قـرارٍ. ومـاءُ عـذابـي عـمـيـقٌ. وقـلـبـي غـريـقٌ. ونـاءَتْ عـرائـسُ بـحـرِ الـظـلامِ بـقـشّـتـهـا الـبـائـسَـةْ!/

*

وحـيـداً. أخـيـراً. بـهـذا الـصـهـيـلِ الأخـيـرِ. بـحـمّـى الـخـيـولِ الـسـمـاويّـة اجـتـزتُ بـيـدي الـقـديـمـةَ: يـمّـمـتُ وجـهـيـنِ. وجـهَ الـمـلـيـكِ الـحـبـيـبِ ووجـهَ الأمـيـرةِ. قـلـتُ اعـتـرافـي أمـامَ الـخـلـيـقـةِ: حُـبّـان فـي الـقـلـبِ. حـبُّ الـمـلـيـكِ وحُـبُّ الأمـيـرةِ. والـقـلـبُ فـردٌ صَـمَـدْ/ وحـيـدٌ أَحَـدْ/ ووجـهـانِ مـن أزلٍ قـادمـانِ. وحـبّـانِ يـسـتـقـدمـانِ الأَبَـدْ/ بـهـذا الـصـهـيـلِ. بـمـا اسـتـجـمـعَـتْ أُمّـةُ الـعـاشـقـيـنَ مـن الـوجـدِ فـي عـاشـقٍ مُـفـردٍ. لا يُـسـمّـى. ولا تـدّعـيـه

السُّلالاتُ من والدٍ أو وَلَدْ!/

*

وحيداً. أخيراً. يردد مزمورَهُ العاشقُ العربيُّ القديمُ: لتفرِدْ نسورُكَ أجنحةَ المجدِ ثانيةً يا إلهي العظيم.. لتفرِدْ فراشاتُ سِركَ أجنحةَ الرحمةِ السَّرمديّة. شئتَ فكانَ الذي كانَ لي. ربِّ أشعَلْتُ هذي الأصابعَ شمعاً لطقسِ التهجُّدِ في الوجدِ. صَلّيتُ دونَ كلامٍ لأن الكلامَ حدودٌ وأنتَ العصيُّ على الحدِّ. يا ربِّ مجّدْتُ كل الذين اصطفوك فباركتَهم رُسُلاً. واستعنتُ على حسرتي واحتراقي بكلّ الذين اصطفيتَ من الأنبياءِ/ ويا ربِّ طفتُ بنذرِ المحبّةِ بين المقامات. زرتُ القبورَ التي آوت الصالحينَ. ولذتُ بأضرحةِ الأولياءِ/ قوياً بما شاءَ لي اليأسُ. ممتلئاً نعمةً طافحاً بالرجاءِ/ وما من رجاءٍ سوى أنها تعبرُ الجسرَ من ضفّةِ الآسِ. تعبرُ جسرَ الخرابِ. وخلفَ خطاها قوافلُ مسكٍ وطيبٍ. ومن حولها الحارسانِ نهارُ الصفاءِ وليلُ الوفاءِ/ وآنيةُ الوردِ والتَّمْرِ. شرَّعتُ أبوابَ وَهْمي/

لاقرأها في الكتابِ القديمِ عن العشقِ. حرفاً فحرفاً. وأكتبَ بين حروفِ اسمِها صلواتي. وأرسمَ جسمي/ وأجهَرَ باسمي/ وأدعوَ للشيخِ سينِ السموِّ تبارَكَ في ما رأى وتنزّهَ عن شبهاتِ التقوُّلِ بالسِّرِ المغفَلَةْ/ وأطلبَ مشكاةَ ذاتكَ. نوراً لذاتيَ في ظلمةِ الكُتُبِ المقفَلَةْ/ وحيداً أحَدْ/ أصيحُ: مَدَدْ/ لَعَلِّيَ أُبصرُ في نورِ وجهكَ وجه الحبيبَةْ/ وأسمعُ في نبضِ قلبي البعيدِ خطاها القريبَةْ/ الهي.. مدَدْ/ حَيّ!/ الهي.. مَدَدْ/حيّ!/ مَدَدْ/ حَيّ!/مَدَدْ.. حَيّ!/ مَدَدْ..حَيّ!/

إذن، أزرعُ الحبق في نواويس المومياءات، وأستعدّ لسهرتي..

خَدرَتْ على خشب الفؤوس أكفُّهُم. خدرتْ. ولم تخدر عزائمهم. جباهُ رجالهم عرقٌ ترابيٌّ. ولم تفترْ ببرد الليل أرحامُ النساءْ.. وُلدوا كثيراً. واستعادوا الخصبَ في موتٍ كثير. هكذا وُلدوا على شظف الحياةِ وأولدوا ما شاءَت الصحراءُ في قحطٍ وما شاء النماءْ قاماتهم أسَلُ الرماحِ إذا دعا نقْعٌ. وترتعشُ المغازلُ في أصابعهم متى عادوا بصيدٍ. أو بشيءٍ من غنائمهم، وينتعشُ اللهيبُ بعطرِ قهوتهم على نارِ المساءْ

*

ها هُم. أطلّوا من رمالِ البيد. في اليمنى كتابُ الله زهوٌ فاضلٌ. وتدرِّبُ اليسرى صقور النور، مشرفةً على أُفقٍ وراءَ الأفقِ، مُسرجةً خيول الهاجسِ الكونيّ. يا عنقاءُ. يا عنقاءَنا انطلقي على الأرضين باسم الله. وانعتقي بصوتِ الله. رافعةً أذانَ صهيلكِ

النبويّ ضوءاً للجهاتِ الستِّ. جامحةً السنابكِ عبر يابسةٍ وماءْ.
عنقاءُ. يا عنقاءَنا هذا زمانكِ فانهضي وصلي رحابَ الأرض- من
أوتاد بيت الشّعر صاعدةً- بأبراج السماءْ

*

ها هُم. يجوبون الأقاليم الغريبة. صاعدين بدهشةِ الفتح المبين
وشهوة المجهول. أعينُهم تشعُّ نجومُها السوداءُ نوراً ناصع
القَسَمات. ها هُم يبدعون الوشمَ في الأرواح بالضوءِ الحميمْ
وعلى الصراط المستقيمْ

نخلٌ يظلِّلُ شهقةَ الترحال من شمسٍ إلى أرضٍ ومن أرضٍ إلى
شمسٍ وزادُ السَّفْر من رُطَبٍ ومن حشفٍ. حليبُ النوق حسبُ
الجامحينَ على رحابِ النفسِ. بيتُ الله مزدحمٌ. وبيتُ المالِ منهمكٌ
بفَيءِ الأمرِ بالمعروف.. للعلماءِ قسطُ الجنْد. للخلفاء ميراثٌ من
الراياتِ خافقةً على حذرٍ مقيمْ

ألأمرُ، باسم الله، شورى. واليمانيُّ المجرَّدُ في يمين الفارس
العربيِّ مشكاةٌ توهَّجَ نورُها الهادي على النهجِ القويمْ هُم
يخرجون الآن. من كهفِ الخرافةِ. يخرجونَ وفي سراياهم غلامٌ

طافحٌ ببراءَة الشَّهوات. ينشدُ روحه رجزاً سماويّاً تُذهِّبُهُ الصحارى بانتباهات الضحى. ينثالُ من فَلَقٍ إلى فلقٍ ومن سَفَرٍ هلاميٍّ إلى جَسَد النعيمْ.

هم يخرجون. إذن سينشدُ عابراً جيلاً لجيلٍ. يخرجونَ. إذن سأُنشدُ. يا حريرَ الشمس! أوتارُ الرَّبابةِ من شراييني ومنكَ. ويا

عرار الليلِ! بُلَّ فمي بعطرِ أبي القديمْ!

*

خرجوا. وأُنشدُ. يا شعوبَ الأرضِ فاتحدي على خبزي وملحي، واخرجي فينا. دعي الغابات تفتح للنشيد المشمس العربيِّ أبواباً على الظُّلُمات.. مُدِّي يا شعوب الأرضِ أيديك الكليلة واخرجي فينا إلى ساحاتنا الكبرى. إلى العربية الفُصحى. تعدّدَت اللغاتُ وواحدٌ نبضُ القلوبْ

والأبجديّةُ شرّقتْ دهراً. ودهراً غرّبَتْ. والحلمُ دربٌ واحدٌ فيه التقتْ كلُّ الدروبْ

وتكاثرتْ صيحاتنا. والصوتُ فردٌ يا شعوبْ

وتلاطمتْ أمواجنا. والبحرُ فردٌ يـا شعــوبْ

وتشاحنتْ راياتنا. وتطاحنتْ غاياتُنا. وتلاحمتْ آياتُنا.. والكونُ فردٌ يا شعوبْ

خرجوا. وأُنشدُ للشروقِ مفجِّراً بدمي صهيلَ النار في حَطَبِ الغروبْ!

ويلمُّ أشلائي نشيدُ الوصلِ. من جيلٍ الى جيلٍ. يقاطع نشوتي الماموث. نيزكُ شهوتي يهوي على الأردنِّ من ظمأٍ. يمدُّ الأطلسيُّ ذراعَه السوداء. يسحبُ طيلسان البنِّ والنعناع عن كتفيَّ. لا يا غادةَ الإفرنجِ. لا. لا تطعني بالمرودِ الفضِّيِّ خاصرتي. ولا تلجي خرافةَ مخدعي المسحور بالدم والذنوبْ

*

أنذا. أمرُّ بها على خَجَلٍ. أُقبِّلُ باكياً جدرانَها المعشوشبةْ

وأبثُّها أوجاعَ روحي المتعَبَةْ

غرناطةٌ اختطفتْ لياليها حشود الغال وانتحبتْ مقيدةَ اليدينِ على صرير المركَبةْ

وبكتْ على أشلاءِ شاعرها نوافذُ قرطُبَةْ

والياسمينةُ لا تعيشُ ولا تموتُ على جدارِ الحزنِ. يا قشتالةُ التفتي إليَّ. ومسِّدي بيديك أوتارَ الأغاني المجدبَهْ

آتٍ أنا. آتٍ لكي أمضي. وأمضي كي أعودَ إليكِ مغتسلاً بماءِ الوردِ. في كفِّيَّ كافورٌ ومسكٌ من بلاد الهندِ. يحتفلُ البياتُ على يديَّ. ويطفحُ النهوندُ في بلدي الموشّح بالأغاني والمرصَّع بالمراثي والمطعَّم بالحروفِ الطيّبهْ

هذا أنا تجتاحني الحمَّى فأسقطُ عن جواد الحلم بالجنَّاتِ تجري تحتها الأنهارُ، منحدراً إلى كابوسِ ناري المرعبَهْ

وتميدُ بي أرضٌ إلى أرضٍ وتُسلمني الأعاصيرُ الغريبةُ جثّةً زرقاءَ في كفن الدمقسِ، إلى صبايا الريف. تبكيني بناتُ الحيِّ. تندبني الأراملُ: يا غريبَ الدارِ عُدتَ ولم تعُدْ. فانفُضْ غبارَ رحيلك الدامي على طرق المنافي المتربَهْ

وانهضْ الى أبويكَ من تغريبةِ الآفاقِ واحتضن الربابةَ منشداً للبنتِ أغنيةَ المدى المفضي الى جسدينِ ملتحمينِ فوق المصطبَهْ..

*

للوردِ والحنّاءِ ظلُّ الحزنِ. للشُرُفاتِ ضوءُ الأغنيةْ

لأبي وأمي الميّتين على أسى الأولاد والتوق النَّبيل لأمنيَةْ
لمقاعد الخشبِ العتيقة. للمحابر. للدفاتر. للمساطر. بين جدران الصفوفِ. لجرنِ كُبّتنا القديم. لرنّةِ المهباج هابطةً من السفح العنيد الى ركونِ الأوديَةْ
لدمي مطيعاً صولةَ الغليان. للأطفالِ في الساحات. للعمّال في الورشات. للأشجار والأزهار. للقمر المكابر. للدكاكين الفقيرةِ. للدواوين الصغيرةِ. لابن جارتنا المهاجر في ديار الأُحجيَةْ
ولحسرتي العمياء ضوءُ الأُغنيَةْ
ولجلبة الأرقِ المقيم. وسطوة الحمّى. وخبثِ الموتِ ظلٌّ الأغنيَةْ

*

غامرتُ في جرحي إلى جرحي. قطعتُ مخاضَةَ التمساحِ والأفعى. فصاحتْ بي قبورُ أحبَّتي القتلى "ستولدُ".. ردَّدتْ جدرانُ محرقتي "ستولدُ" من رماد المعصيَةْ وتجمهر الشهداءُ حولي. يقطفون الورد والتفاح من بستانِ مقبرةٍ إلى أبوابِ مستشفى الولادةِ مفضيَةْ وعلى شحوبِ شفاههم نَغَمٌ سماويٌّ تردِّدهُ فضاءاتُ الخلود على تخومِ الأضحيَةْ

للوردِ والحنّاءِ نورُ الحزنِ. للشرفاتِ ظلُّ الأُغنيَهْ..

*

" من أنت؟ " صاح الحارسُ العاتي ببابِ البارِ. قلتُ: أنا سجين السيِّدهْ

وأنا عشيقُ السيِّدَهْ

وأنا مغنّي الله والإنسان. أقسمتُ اليمين بربطةِ الپاپيون. فافتح لي لأدخُلَ مؤمناً كفرتْ به الساعات في صلفٍ فأخطأ موعدَهْ وولجت بارَ السجن والمنفى. هناك وجدتُّها سكرى. يشبُّ وحامُها لهباً. وترقصُ في الدخانِ معربدهْ..

صافحتُ قاتلتي وأفرغتُ الزجاجة في فمي المفطور للشهواتِ والمفطومِ عن تفّاحةِ الأوجاعِ. أفرغتُ الزجاجة في شراييني.. (سأسكرُ أولاً، وعلى مزاجي سوف أذبحُها بكأسي).. أقبلتْ، ووراءَها عامودُ نارٍ. لامستْ جسدي المفخَّخَ وارتمتْ في عتمتي الخرساء. خالعةً قميصَ النوم. تاركةً لأيدي الجند ومضاً من مفاتنها.. ولي نيرانها المتجدِّدَهْ.. وعلى بلاط البار دَحْرَجَنا جنون اللحم والويسكي الرديء. وبين أعقابِ السجائرِ. في صراخ الجُند

والبحّارة الأغرابِ، أوْلَجَ سُخطَهُ، متجرِّدٌ سكرانٌ في سكرانةٍ متجرِّدَةْ

أنذا سجين السيِّدَةْ

وأنا عشيق السيِّدَةْ

وأنا قتيلُ السيِّدَةْ..

*

تتكاثر السُّحُبُ الجديدةُ حول من تركوا صحاراهم قديماً. سامحوا أعداءَهم. وتزاوجوا معهم. وما عادوا إلى البيداء. كانت في مهاجعهم، وبانت في مواجعهم، وها هُم في نقوش المسجد الأمويّ يحتفلون بالشهداء من آبائهم. ويهلِّلون على جهات الأرض. ها هم يقرعون على المدى أجراسَهُم. ويعيِّدون بما وراءَ الطقس. ها هم يقرأون كلامَ "يهوةَ" غير ما بدأوا الكلامْ

ويمجِّدون بداوة الإيمان في مسك الختامْ

فلتُمطر السحبُ الجديدةُ فوق من تركوا صحاراهم قديماً. وليكن للطَّلح موسمُهُ. وللزيتون موسمُهُ. نخيل الله والعرب القدامى دائمٌ في الأرضِ قيُّوم على الأوقاتِ. يَقطُرُ من عثاكيل البهاءِ الأول

السامي رحيقُ المجد للأجسادِ والأرواحِ. فليفتحْ نخيلُ الله والعربِ القدامى طاقةً لدعائنا الأرضيّ، تفضي للسماوات العُلا، وليستجبْ سبحانَهُ لصهيل خيل الحق. وليسمعْ نداءَ المؤمنين الصِّيد، فرسان الحضارةِ والسلامْ

ولتُمطر السحبُ الجديدةُ وَعْدَها الدهريَّ. ولتَبْتَلَّ أجنحةُ النسورِ على صخورِ الشرقِ. ولتبتلَّ أجنحةُ الحمامْ

أُفقٌ. وشوقٌ جامحٌ. ويجوبُ وجهي واضحَ القَسَماتِ أسرارَ الغَمامْ!

*

قالوا. وقالت خيبةُ الحُصّاد أنْ صدَّقتُهم يوماً طويلاً. إخوتي الزعماء والخطباء والشعراء والفقهاء. كم قالوا وكم صالوا وكم قالوا وكم جالوا. وقد صَدّقتُهم يوماً طويلاً. أنبياء الكذب من دهرٍ. شهود الزور والبهتان. أشهدُ أنني صدّقْتُهم حزناً طويلاً. آنَسوا ناراً على جبلي فطافوا بي جماعات. وطافوا بي فرادى. سامعين ودامعين وقانعين وخاشعين.. ومدركاً حزني فقد صَدَّقتُ. بُحتُ بهاجسي فيهم.. تعشَّينا. وغابوا في الظلامِ. لمحتُ يوضاسَ

العزيزَ يوشوشُ الحرّاسَ والعسَسَ المُداهِمْ

ونزا النُّزاةُ. غزا الغزاةُ. طغى الطغاةُ. مدجَّجين بقيدهم وبحقدهم

وبويلهم وبلَيلهم. شَدّوا الحديدَ على يديَّ.. سمعتُ يوضاسَ

العزيزَ يصيحُ بي: قاوِمْ، وقاوِمْ!

ومضيتُ مخفوراً إلى موتي.. وفي موتي رأيتُ اللهَ في قلبي.

بكيتُ دماً. أراحَ دمي البكاءُ وفتَّحتْ في قُبلةِ المسمارِ، نازفةً على

خَشَبِ الصليب الحيِّ، آلافُ البراعمْ..

أُممٌ. تقومُ على العذابِ وعاصفٌ من خلفِ سورِ الليلِ قادِمْ وبيارقٌ

تعدُ الضواحي بالعواصِمْ

وتوائمٌ تلدُ التوائمْ

وأنا أغني ثورةَ الفقراءِ والمستضعفينَ. أنا أصلِّي. فافتحوا الأبوابَ

يا حُجّابَ أبوابِ السماءِ. وَهَلِّلي يا أرضُ للمَطَرِ المبشِّرِ بالمواسِمْ!

*

ويكونُ أن يتأرجحَ الميزانُ بين وثائق الحبر الجديدْ

في مجلس الأمن السعيدْ

قَلقاً، وبين وكالة الأنباءِ ثم يكون في نبأٍ جديدْ

وجهٌ يُطلُّ من الفناءِ إلى الوجودْ

ومن الوجود إلى الخلودْ

وطنٌ يعود ولا يعودْ

وأنا أزيِّنُ جثتي وأرشُّ ماءَ الورد مبتهجاً على كفني. وأضفرُ حول تابوتي أكاليل الزفاف زنابقاً سوداء، ريحاناً وبرقوقاً. وأنشدُ للحشود الرملِ. كثباني المنصَّةْ. والكتابُ غزالةٌ جَفلَتْ على نجدٍ تعانقُهُ نُجودْ

وأنا أعود ولا أعودْ

عطشي المهذّبُ قاتلٌ. والصخرُ في وطني يدرُّ حليبَهُ عسلاً إلى أجرانهم. ويسيل شرياني يسيلُ ولا حدود ولا سدودْ والجوعُ يقتلني ولحمي شائعٌ بين الشعوب وقمح آبائي نذورٌ. والرَّدى كَرَمٌ وجودْ

وتلوحُ قمصانُ المجانين الكئيبةْ من معاهد حكمتي. والوحي يخلعُ جلدَه الدامي ليقرأ سورةً أُخرى من القرآن. يتلو راكعاً إنجيل لوقا. ثم يهوي قارعاً باباً من التوراةِ. محتقناً بنور الله. يُبصر بي وحيداً في سراب البيد. يرأفُ لحظةً ويعودُ مُمتحناً إلى أشيائه

الأُخرى يعودْ

وأنا أعود ولا أعودْ

تلدُ البروقَ خُطاي، من غضبٍ، وتخترعُ الرعودْ!

*

من أين تجمعُ جمرها ورمادها العنقاءُ؟ كيف ترى ستبدأ نارها؟

وبأيٍّ ميعادٍ تفجّرُ لحظة الزلزالِ في الزمنِ الضنينِ؟

من أينَ أبتديء الحياةَ لقهرِ موتٍ يدَّعيني؟

شيَّدتُ عاصمةً لروحي. خلف سور القدس. عاصمةً تليقُ بمكَّةَ الأولى. فرشتُ عباءَتي. سجّيتُ فيها جُثَّتي. يا قومُ كُفُّوا عن خصامكم القديم وهاكمو جسدي الجديد. ألا احملوه جماعةً ليكون باسم الله صخرةَ حلمنا الباقي على الأيام. واتَّعظوا بما قالت لنا

العنقاءُ من أزَلٍ. ألا واستذكروا آلام أهل الكهفِ. يا أهلي الأحبّةْ.

واذكروني

في بهجةِ الأعياد. أو لا تذكروني

في عيدِ ميلادي الحزينِ

غادرتُ حدَّ الجاذبيَّةِ من قرونِ
وقفلتُ من موتٍ وراءَ الموتِ. ها أنذا من الصحراء أُبصركُم. ولا.
لم تبصروني
حزني أميرُ الحزنِ. أينَ حدائقُ الأمواتِ من أحزانكم؟.. وَجْدي
أميرُ الوجدِ. أين قلوبُكم مني؟.. وأين خرافُ حكمتكم لترعى في
جنوني؟

*

بلّغتُ. تلكَ رسالتي فيكم. وتلكَ دلالتي منكم. وذلك آخر الأصواتِ
في أَبَدِ السكونِ
فتزوّدوا بالماءِ. من خبزي لكم جَسَدٌ يكونُ. ووردتي نورٌ. ومن
تفّاحتي فَرَحٌ. وفي حَجَري يقينٌ ساطعٌ خلفَ الظنونِ
أنذا تبعتُ عذابكم وغيابكم وضبابكم دهراً.. فقوموا، واتبعوني!

*

من هذه الأبواب كان عبور أسلافي إليَّ. وهذه الأبوابُ
تعبُرني لأعبرها إلى ما تُضمر الأرضُ الفريدَهْ
خلفَ المراثي والتهاليل القريبةِ والبعيدَهْ

من هذه الأبواب أعبُرُ. مُثقلاً بالموتِ أعبُرُ. قارعاً بابَ الحياة بقبضةِ الروح العنيدَةْ

"لا" للرمادِ. وألفُ "لا" لليأس. ينهشُ لحميَ الفولاذُ. تغدر بي السنونوّات. "لا" لليأس. ينهشُ لحمَةَ الفولاذُ. "لا" "لا" للرمادِ. وألف "لا" لليأس. ها أنذا. وها هيذي زنابقُ موتيَ

الآنيِّ تصعد من خلايا الموت. تصعد من خراب الأرض والإنسان. تصعد من دم الشهداء. من وجع الأرامل والثكالى. لم يزل فلكٌ ضئيلٌ للحصار. وإنه فلكٌ ضئيلٌ للحصارِ. خُطاي تغزلُ أرحَبَ الأفلاكِ. منوالي انعتاقُ الحلم من أسْر التجاعيد الدميمةِ في الإرادةِ والريادةِ والقيادةِ والعقيدةِ والقصيدةِ والجريدةْ

وإذن، أُطلُّ على فجاج الخصبْ من ماويّتي الأولى لأُولد مرةً أُخرى وراءَ المرَّة الأخرى. لأولدَ. صورتي ما لوَّنتْ في حُلمها أُمّي الجديدَةْ

*

وإذن، أشدُّ من الرياحِ أعنَّةً خَطَفَتْ جوادَ أبي الأصيلَ. وأمتطي سَرْج الرياحْ

ودمي يُجلجلُ من شراييني إلى الصحراء: باسم الله، حَيٍّ على الكفاحْ!

وإذن، سأُفرغُ صَلْبةَ النار الأخيرةَ كُلَّها في جُثّةِ المومياء.. تاووساً فناووساً أُهيلُ رمادَ أجدادي. وأزرعُ فوقَهُ حَبَقاً لأحفادي. أُمسِّدُ إصْبَعَ الشامبو بأغنية. أرشُّ العطرَ في البانيو المكيَّف. ثم أغطسُ مُسلماً جِسمي لبنتٍ من بلاد الجنِّ. مغتبطاً ببعثي كاملَ الإدراك. مبتهجاً بصحَّةِ أُسرتي. سِلْمٌ وعافيةٌ وضوءٌ في شبابيك القرى. مُدُنٌ تُعدُّ طعامَها ظُهراً. مغنيةٌ وفرقتها. وما يسترو يستعدُّ لحفلةٍ حتى الصباحْ

وإذن، أقومُ من اغتسالي. جاهزَ الأعضاء. منتصباً. معافىً. مفْعماً بالورد. مفتوح الشهيَّةِ. عاصفاً. لا شيبَ. لا أوجاعَ في فَقَراتِ أدنى الظَّهر. حُراً من هموم العصر. حيّاً. لا خَبالَ. ولا ضَلالَ. ولا كُساحْ

حرّاً وحيّاً. لا جنونَ. ولا ظنونَ. ولا غضونَ. ولا جراحْ
حرّاً وحيّاً. أستعدُّ لسهرةٍ حتى الصَّباحْ
حرّاً وحيّاً. أستعدُّ لسهرتي.. حتى الصَّباحْ!

سيناريو فيلم صامت
(أسود-أسود)
من بطولة عبد المنعم شابلن

1

بسم الله

ألف صلاه

أول ما يظهر في الفيلمْ

فئرانٌ جذلى تتبعُ عازفَ نايْ

(CUT..)

طربوشي وعصايْ

(CUT..)

وحذائي الضّخْمْ

أوَّلُ ما يظهر في الفيلمْ

2

لا يُتقنُ السِّباحَةْ

لكنَّهُ يقطعُ، في الحُلمِ المحيطاتِ

ولا تحدُّه مساحَةْ..

ويُتقنُ السِّباحَةْ،

لكنَّهُ،

يُغرقُهُ الواقعُ في فنجان!

3

في الموعد،

لا قَبْل قليلاً أو بَعْدْ

يأتي محتشداً بالشهوةِ

مغتسلاً بالنار وماءِ الوَرْدْ

(سترومبولي)

في الموعد...ينظرُ في الساعَةْ

يتلفّتُ في أرجاءِ القاعَةْ

(سترومبولي)

يجلسُ منتظراً. منتظراً ينهضُ.

يجلسُ، ينهضُ،

لا تأتي

يفتحُ ربطةَ عُنْقِ الوقتِ

(سترومبولي)

لا تأتي

والوقتُ يفوتْ

يتهاوى في المقعدِ..ويموتْ!

4

قلتُ ما لا يُقالْ

قلتُ ما ينبغي أن يُقال

وَهَبَتْني السهولُ بلا مِنَّةٍ

ووهبتُ الجبالْ

5

سُنبُلتي مُكتنزَةْ

ماذا إذا مرَّتْ بها

بعضُ الطيورِ المُعوزَهْ

وصارَ خُبزي المُعجزَهْ؟

6

وارفٌ ظلُّ زيتونتي. وارفُ

وأنا عارفُ

أنَّ ليلي طويلٌ طويلٌ

وشمس الصباحْ

بعضُ ما شاءَ لي جسدي من جراحْ!

7

يدَّعيني الكلامْ

وأنا صامتٌ

صامتٌ...أَلْفَ عامٍ وعامْ

8

خَبَتِ الوجوهُ وغابتِ القَسَمات

فلمنْ هُتافُ الرُّعبِ يا أصواتُ؟

مُدُنٌ خَوَتْ وقرىً خَلَتْ وتخلخَلَت

أُسُسٌ. ومالت في الرَّدى قاماتُ

حَشْرٌ. وبعثٌ بالأوائلِ مائرٌ

وَهَمى الأواخرُ في السُّباتِ، وماتوا

فلمنْ نداءُ الرُّعبِ يا أصواتُ؟

خَبَتِ العيونُ وضاعت القَسَماتُ!

9

سحابٌ، قطيعُ سحابٍ وراءَ قطيعِ سحابٍ

ولا قطرةٌ واعدَهْ

وتمضي صحونٌ وتأتي كؤوسٌ

ولا مائدَهْ

أنا النهرُ ذو الضفّةِ الواحدَهْ

أنا...العربُ البائدَهْ!

10

سيعودُ من أدغالِ غيبته

مع كلِّ الذينَ فقدوا احترام العدوِّ والصديق

أسدُ مترو–غولدوين–ماير
سيعودُ نحيلاً هَرِماً
لتفترسهُ الضِّباعُ النهمة
على منصّةِ الأوديتوريوم المكتظّ
بجماهير العاطلين عن العمل
وقطّاع الطرق
والمتسوّلين
سيعود أسد مترو–غولدوين–ماير
ليلفظَ على الملأ زئيره المتلاشي
في كارتون توم آند جيري...

11

هيَذي مأساتُكم في أوجِها
فجُّكُم مغتربٌ عن نُضجِها
ألعبوديّات حُرّيّاتُكُمْ
والأكاذيبُ عوالي سَرْجِها

إخـوتــي أنـتُّـم، ولـســتُـم إخـوتــي

فـانـظُـرونــي، عَـكـسَـكُـم مُـتَّـجِـهـا

أُمُّـنـا، مِـنْ فَـرْجِـهـا جئـتُ، فَـهَـلْ

أنـجـبـتـكُـمْ أُمُّـنـا مـن شَـرْجِـهـا؟

12

"ألوردُ قيّومٌ"، سمعتُ الصوتَ في وضحِ السكونِ

سمعتُهُ ورأيتُهُ عبر الجدارِ. وكان مطليّاً

بماءِ الوردِ والكلسِ المصفّى

"ألوردُ قيّومٌ"..ورفَّ جناحُ دوريٍّ على

القرميدِ..رَفّا

وتنهّدَ الشيخُ الجليلُ على بساطِ العشبِ في

قيلولةٍ سَنَحتْ، وأغفى

"ألوردُ قيّومٌ"..

حفظتُ الصوتَ ذاتَ طفولةٍ سَنَحَتْ،

وقلتُ يكونُ لي حِرْزاً على هولِ الطريقْ

عبرَ الحريقِ

من الحريقِ إلى الحريقْ
ويكونُ وجهُ الشيخِ بعد غروبِه في العشبِ
بوصلتي إلى وطنٍ تقنِّعُهُ اللغاتُ
بوجهِ منفى
" والوردُ قيومٌ " ..نعودُ من الجنازةِ
ذابلينَ على رخامِ الصمتِ. منكفئين. منطفئين.
ماذا بعدُ؟
أينَ تُرى؟
وَمَنْ؟
ومتى؟
وكيفا؟!

13

قالتْ بصوتٍ معدنيٍّ
لم يبلِّلْ قولَها فرحٌ ولا ران اكتئابْ
" للموتِ رائحةُ الترابْ
في غفلةِ الأحياءِ

طعمُ الموتِ

رائحةُ الحياةِ على العذابْ

والموتُ آفتر شيف

يعتادُ الحلاقةَ كل من وُلدوا

الشيوخُ الملتحونَ، النسوةُ، الأطفالُ

عادتُهمْ هي العدوى

ورائحةُ الترابْ

موتٌ وميلادٌ إلى يوم القيامةِ والحسابْ"

حملتْ حقيبتَها ومعطفَها

وغابتْ في الضَّبابْ..

14

هذا هو المشهد الرابع عشر

رجالٌ ونساء من جنسيّات شتّى

في جلبةٍ احتفالية

ما زال الشاعر على حاله من مشاهد سابقة

مشدوداً إلى شجرةٍ ميّتة

يتهادى صوبَهُ المحتفلون

بملابسهم الأنيقة

يقتطعونَ اللحم من أطرافه

ينثرون الملح والبهارات بحذر

ثم يمدّون أيديهم الوجلة

نحو المناقل المتوهّجة بالجَمْر الطازج

إنه بِكنكْ غير عادي

أوه مستر عبد المنعم شاپلن

يور باربكيو إز وندرفول

أوه. ثانك يو

ثانك يو ڤيري متش...

15

من شاطيء الأَحواز يحملني جوادُ أبي الأصيلْ

خَبَباً..إلى قمم الجليلْ

لي غيمتي سرجي، وبرقُ الليلِ مهمازي الجميلْ

قَلِقاً كأنّي الريحُ

والغاياتُ تحتي، والسبيلْ
شوقُ الغيابِ إلى الحلولْ
من شاطيء الأحواز يبتديءُ الرحيلُ
إلى بدايات الرحيلْ
ودمي على سَرْجي يسيلْ
ودمي يُذهِّبُ فضَّةَ المهماز في شَغَفٍ
ويسطعُ نجمةً،
تُعطي خُطا السارين في الليلِ الطويلْ
شرفَ الوصولِ،
ولو تعذَّرَ يادمي شرفُ الوصولْ
من شاطيء الأحواز أخرجُ
تحتَ طائرةٍ مُغيره
لأعودَ طائرةً مُغيره
تَهَبُ الجزيرةَ للجزيره...

16

مهلاً، مهلاً، يا طابور النَّملْ

مالَكَ تدخُل عاصمةً نائمةً في الظِّلْ
ليحلَّ الليلْ
والليلُ يحلّ؟

17

ZOOM

مئذنةٌ في رأسها هلالْ
تدخُلُ في علامةِ السؤالْ
تخرجُ من علامة التعجُّبْ
ورجلٌ ينزفُ تحتَ ظلِّها
وامرأةٌ
تلطمُ فوق رأسهِ وتندُبْ..

18

تغيبُ مع الشفقِ الغائبِ
إذن، قُضيَ الأمرُ،
ها أنتَ حيثُ ابتدأتَ
رويتَ لنا الحُلمَ.مثنى ثلاثاً رباعاً

رويتَ بلا كَلَلٍ يا صديقي

وأصغى قضاءٌ، وألوى فضاءٌ

رويتَ بكلِّ الوضوحِ المتاحِ

وكلِّ الغموضِ المباحِ

حلمتَ صغيراً. وقلتَ سأحكي لكم ما حلمتُ

حكيتَ لنا ما حلمتَ

ضحكْنا، بكيتَ

بكينا، ضحكتَ

وها أنتَ حيثُ ابتدأنا

وها نحنُ حيثُ ابتدأتَ

تغيبُ مع الشفقِ الغائبِ

إذن، قُضيَ الأَمْر، يا صاحبي...

19

رجلٌ يضحكُ لامرأةٍ تبكي

رجلٌ يبكي لامرأة، تضحكُ

رجلٌ وامرأةٌ.

وملاكُ الموتْ

وصبيٌّ يوغلُ في الصَّمتْ..

20

وَلَدٌ من النعناعِ هاجَ وماجا

ودمٌ أضاءَ على القِلاعِ سراجا

ليطاردَ الحرّاسَ طفلٌ جائعٌ

وصبيّةٌ تتسلّقُ الأبراجا

فالطيلسانُ على الرخامِ ممزَّقٌ

وأسيدُ أوردةٍ يُذيبُ التاجا

ألقصْرُ أرتجَ بالردى أبوابَه

ليزيحَ ثوّارُ الحياةِ رتاجا!

21

يتوقُ النُّحاسُ إلى صوتِهِ

ولاشيءَ إلا رنينُ الخَشَبْ

يتوقُ إلى لونِهِ ويحنُّ الذَّهَبْ

ولاشيءَ إلا شحوب الأسى والتَّعَبْ

ولاشيءَ غير النزيفِ القديمِ الجديدِ

فما من عصيرٍ وما من نبيذٍ

دَعِ الشوقَ يا كرمُ

دعْ محنةَ التوقِ يا صاحبي يا عنَبْ

وما ظلَّ شيءٌ من الحزنِ. ما ظلَّ حزنٌ

وما من غَضَبْ

مضى ما أتى..وانقضى ما ذَهَبْ..

22

عَبْرَ فترينةِ الكافيتيريا

رآها تُحدِّقُ في الليلِ

فنجانُ قهوتها ليلُها

حولَها الناسُ

يرتشفونَ مشاغلَهُم صامتينَ

رجالاً، نساءً.

فصولُ أناقتهم زاهيةْ

إنَّهم نخبةٌ من ذوي الشأنِ

والأُسَرِ الراقيةْ

بَدْءُ كُسْوَتهم واضحٌ

وَهْيَ–ساقاً على الساقِ–

جالسةٌ بينهم

وَحْدَها..عاريةْ...

23

نـخـيـلٌ يمـيـلُ ومـا مـن ريـاحْ

ويـنـزفُ وجـهٌ ومـا مـن جـراحْ

ويـطـلُعُ بـدرٌ ومـا مـن مـسـاء

وتُشـرقُ شـمـسٌ ومـا من صَبـاحْ

ونـايٌ يـئـنُّ ومـا مـن أنـينٍ

ويـصـدحُ طـيـرٌ ومـا مـن صُـداحْ

هُـنـا كـلُّ شـيءٍ بـلا شـيـئـهِ

ومـا مـن غُـدُوٍّ. ومـا مـن رواحْ

24

حائرٌ كالبرونزِ

وسيمٌ
ولكنَّهُ خارج الجاذبيَّةْ
جابَ كلَّ المداراتِ
أرضاً وشمساً
تداخَلَ في الكائناتِ إلى منتهاها
وعادَ وحيداً
يجوبُ عناصرَهُ الأوَّليّةْ
قالت ابنتُه: " يا أبي،
إنَّ ضوْءًا غريباً يراوحُ في الأُفقِ.. "
قالَ: " اذهبي يا ابنتي للفراشِ
ونامي مدى الحُلمِ
أُمُّكِ عائدةٌ ذاتَ ضوءٍ غريبٍ.. "
وغادرَ منزلَهُ
باحثاً عن تفاصيلهِ
في سماءٍ قصيَّةْ
خلفَ كلِّ المداراتِ

وانغلقتْ فيهِ

دورتُهُ الدمويّةْ!

25

zoom

طفلةٌ حلوةٌ حافيَةْ

تضعُ اللقمةَ الباقيَةْ

قربَ قطّتها الغافيةْ

ثم تعطي أخاها الصغيرْ

طابةً،

وَتَطيرْ

صوبَ سرب الفراشاتِ

في ظلِّ ليمونةٍ ذاويَةْ

26

بَطَلُ الفيلم مُضطجعٌ

فوقَ ماءِ البحيرةِ

(يمشي المسيحُ وحيداً..)

و.. " وردٌ إذا.. "

بَجَعٌ حالمٌ

وظلالُ النوارسِ راقصةٌ وَحْدَها

نورابيقُ الحزينُ مريضٌ،

ذُكورتُه خسرتْ في الرهانْ

بَطَلُ الفيلم يحدجُه / ساخراً

ويغطّي الدخانْ

مشهداً كابياً.. لا جنونَ ولا عنفوانْ!

فجأةً، تسقُطُ الكاميرا،

يصرخُ المخرجُ العصبيُّ،

ويُخلي المكانْ..

27

آخِرُ ما يظهَرُ في الفيلمْ

فئرانٌ جذلى

تتبَعُ عازفَ نايْ

(CUT)

طربوشي وعصايْ

(CUT)

وحذائي الضَّخْمْ

آخِرُ ما يظهَرُ في الفيلمْ

THE END

كانون الثاني-١٩٩٩

في القلبِ صلاحُ الدين

" في القلبِ صلاحُ الدينْ
في القلبِ صلاحُ الدينْ "
غنَّينا.. ونغنّي مَجْدَ الأمجادْ
والسيفَ النافرَ من كَسَلِ الأغمادْ
ونغنّي بيتَ المقدسِ ونغنّي حطّينْ
وصلاحَ الدينْ
ونغنّي.. ورقابُ الأكرادْ
بين الأنشوطةِ والسكّينْ
من إسطنبولَ الى بغدادْ
ونغنّي
ونغنّي
" يا لَيلي يا عَيْني
في القلبِ.. صلاحُ الدينْ " !

ألبينوني

نصفُ أوراقِ نوتَتهِ غارقٌ
في صناديقِ فينيسيا الغارقَهْ
حبْرُ ألحانهِ كُحلُ حوريّةٍ
بَلّلَتهُ دموعُ كآبتها الحارقَهْ
غابَ بحّارُها من سنينْ
وَكَسا طُحلُبُ الشوقِ غوندولَهُ
بوشاحِ الأسى المخمليِّ الرزينْ
ألبينوني.. أخي.. يا أنا. يا أخي
أُرغُنُ الماء مُنتظرٌ خالقَهْ
والأداجيو الحزينْ
لم يزلْ وردةً
في ضفيرةِ حوريّةٍ عاشقَهْ
لم يزلْ شمعةً

في مساءِ ڤينيسيا،

تُضيءُ جُسورَ الحنينْ...

في هجاءِ پترونيوس

بخطٍّ يدي. بصريحِ الكلامِ. أُضيفُ الى مَتْنِ " ساتيريكون "
هجائي لشخصكَ. يا رَجُلَ القشِّ " پترونيوس " !
سخرتَ كثيراً من الباذلينَ انحناءاتهم تحت أقدامِ
" نيرون " (لا قَدَميه!).. سخرتَ طويلاً...
وَقَوَّدْتَ للوغدِ " نيرون " . أنتَ اغتسلتَ بدمعِ
ضحاياهُ. رائحةُ اللحمِ في نارِ " نيرون " عطرُ حلاقةِ
ذقْنكَ. كانَ قناعُ أناقتكَ الفخَّ. تصطادُ
لذّاتِ " نيرون " من طُهرِ أريافنا وبراءَةِ أطيافنا.
أنتَ قوَّدتَ للخوفِ والذُّلِّ...
أَسلمتَ حزنَ القناديلِ للَّيْلِ..
صُغتَ جنوحَكَ في دِقَّةٍ تتماهى مع الخَتْلِ
في رِقَّةٍ تتناهى الى القتْلِ
ما أنتَ " پترونيوس؟

ظَلّمنا الثعالبَ دهراً طويلاً.. قُصارى جهودِ الثعالب
قوتٌ ضئيلٌ. وجُهدُ الرجالِ الثعالبِ موتٌ بطيءٌ
تُسمّيه بعضُ المراجِعِ "حُسنَ النوايا"
وكُلُّ المراجِعِ تُدركُ أنَّ الخطايا خطايا
ومن أنتَ "پترونيوس"؟
أُعيدُ السؤالَ لصيغته الجوهريّة: "ما أنتَ "پترونيوس"؟
ظَلّمنا الأفاعي. قصارى جهودِ الأفاعي البقاءُ (حدودُ البقاء) وجُهد الرجالِ الأَفاعي اغتيالُ الطموحِ البسيطِ الى الخُبزِ (للوردِ شأنٌ. وفي راحةِ البالِ بعضُ الغُلُوِّ المؤجّل). أنتَ سلبتَ عفافَ الحياةِ ببعضِ فُتاتِ الفُتات.
جَلَبتَ لنيرونَ عنقَ الخليقة. كانتْ سلاسلُهُ الذهبيّةُ جاهزةً للمجون. وكانتْ ذكورتُهُ المُتعَبَهْ
عذابَ البكاراتِ في ليلةِ الدخلةِ المُرعبَهْ!
ويشهقُ نيرونُ
يزفرُ نيرونُ
أنتَ تُداوِمُ بالبابِ كلباً أليفاً. وتُحصي

ثواني ملذّاته بانبهارات أيامكَ المُسْهَبَةْ

وتسألُهُ صكَّ غفرانه لبراءَتكَ المذنبَةْ!

ينام الطواغيتُ ملءَ ملذّاتهم. وحريرٌ فراشُ الطواغيت.

قُمصانُهُم وملامسُ أقدامهم من حريرٍ. حريرُ

الطواغيتِ عادتُهم. وحريرُ الجواري مشيئتُهم.

إنَّما دودةُ القزِّ لا تدّعي غير واجبها الأوّليِّ

عليها الحريرُ. وليس لها! إنّها دودةٌ آخرَ الأمرِ

يا رَجُل القشِّ "بترونيوس"

ويا رَجُلَ القزِّ.. "بترونيوس"!

مَلالٌ كَسولٌ يُمسِّدُ أطرافَ نيرونَ. ها هوذا

يتثاءَبُ. طَفْحُ ذكورتهِ يتقهقَرُ. داءُ المفاصلِ

يُمسكُهُ بتلابيبِ شهواته. إنَّ نيرونَ في آخرِ

الأمرِ شخصٌ من الناسِ. هيكلُهُ قابلٌ للتصدُّعِ.

ماءُ الزمانِ المثابرُ ينحتُ في عسفِ صخرته مسرباً

للمواجعِ. ها هيذي زُرقةٌ في شرايينِ ساقيهِ.

تُقعدُهُ في الصباحِ وتوقظُ أحزانَهُ في المساءِ

وها هوذا خوفُهُ من صروفِ الزمانِ

يؤهِّلُهُ للبكاء!

يكابرُ نيرونُ. يعرفُ كيفَ يكابرُ في حضرةِ الدودِ.

لكنَّهُ ماثلٌ (مثلَنا) للفناءِ

ويغضَبُ. يصخَبُ. يطردُ من حولهِ بائعاتِ الهوى

والكلابَ الأليفةَ. رُعبُكَ مُتزنٌ. إنما قاتلٌ رُعبُكَ

الآنَ "بترونيوس"!

تَفَقَّدْ شرايينَ زنديكَ. يا طالما أنتَ قشَّرْتَ تُفّاحَ

نيرونَ. مَهِّدْ لسكِّينهِ الذهبيَّةِ مَهِّدْ شرايينَ

زنديكَ. سوفَ تموتُ كما ينبغي أن تموتَ انتحاراً.

لأنَّكَ عشتَ كما يشتهي أن يعيشَ انتصاراً. ولن

تستثيرَ بكاءً. سيضحكُ نيرونُ. لا تبكِ. حُزَّ

بصمتٍ شرايينَ زنديكَ. وارحَلْ رويداً رويداً.

إلى أن تغيبَ بخزيكَ في عتمةِ الموتِ. يا رَجُلَ

القشِّ "بترونيوس"

ويا رَجُلَ القزِّ.. "بترونيوس"!

وها أنذا. بصريحِ الكلامِ. بخطٍّ يدي.
واضحاً. جارحاً،
أُضيفُ الى مَتْنِ "ساتيريكون" هجائي
لشخصك!

ذبائح قانا

قيلَ لي إنَّهم دُفنوا
وأُهيلَ لحافُ الترابِ على الجثث النائمَةْ
قيلَ لي إنني واهمٌ
وأنا أُبصرُ الدمَّ واللحمَ في الساحةِ الواهمَةْ
ليتني واهمٌ أنّني واهمٌ
ليتني موقنٌ أنها يقظتي الحالمَةْ
ليتني.. إنَّما لم أزَلْ صاحياً
أبصرُ الدمَّ واللحمَ في وَضَحِ اللحظةِ القائمةْ
مثلما أبصر الدمَّ واللحمَ والدمَّ والدمَّ واللحمَ
والدمَّ واللحمَ واللحمَ والدمَّ،
في ليلتي القادمَةْ
موتُهُم وَهْمُكُم،
لا تقولوا إذن إنهم دُفنوا!

٢٠٠٠ ق.م - ٢٠٠٠ ب.م

أَجَلْ. كنتُ في العامِ ٢٠٠٠ ق.م طفلاً صغيراً
وكانَ بلوغي قصيراً
ولكنْ بَلَغْتُ
لأنّي.. رأيتُ!
رأيتُ اكتمالي جنيناً تُدفِّئُهُ البيدُ
في لَيلِها القرِّ
ثمَّ رأيتُ نهوضَ النخيلِ المثَّلَّةْ
لوجهي على شطِّ دِجْلَةْ
رأيتُ خيولي العرايا
تغادرُ وهمَ الرمالِ المرايا
وتصهلُ في ألفِ لَيلَةْ
وَلَيلَةْ!
أَجَلْ. كنتُ طفلاً

ولكنْ بَلَغْتُ

لأنّي حلمتُ

بحرفٍ ورايَةْ

وأرضٍ بدونِ بدايَةْ

تعانقُ بحراً.. وما من نهايَةْ!

*

وفي العامِ ٢٠٠٠ ب.م ما زلتُ طفلاً صغيراً

وما من بلوغٍ،

لأنّي اشتعلتُ قليلاً

وعدتُ انطفأتُ طويلاً

وعدتُ انطفأتُ

وعدتُ انطفأتُ

وعدتُ انطفأتُ!

جلجامش

(اللوح الثالث عشر)

بيضاءَ أو سوداءَ، تَعْبُرُ
غيمةٌ أُخرى وَتَعْبُرُ
لا القرابينُ الجديدةُ جدَّدَتْ أَجَلاً،
ولا أجدتْ صَلاةْ.
وتُطلُّ من أسوارها "أُوروك"،
لائبةً على قَلَق الجهاتْ
أيعودُ من كهفِ الغيوبِ؟
متى يعودُ؟
تقاذَفَتْ "جلجامشَ" الصَّبَواتُ
واحتشدتْ عليهِ قيامةُ الموتى
وتجربةُ السُّباتْ
أيعودُ؟ كيفَ؟ متى؟ وأينَ؟
ألا نجاةَ على السبيلِ؟

ألا سبيلَ إلى النجاةْ؟!

*

"أوروكُ" تغسلُ وَجْهها

في ماءِ دجلةَ والفُراتْ

فجراً،

وتُهرَعُ للفلاةْ

سيعودُ يوماً ما،

يعودُ لحضنها المحمومِ،

سوفَ يعودُ من ترحالهِ

"جلجامشُ" المسحورُ بالأسرارِ،

والمسكونُ بالجُلّنارِ،

فجراً ما يَعودْ

بين الأَيائلِ والأفاعي والأُسودْ

في كفِّهِ قلبُ الحياةْ

فجراً،

وبين ضلوعِهِ سرُّ الخلودْ،

" أوروكُ " تغسلُ قلبَها،

في ماءِ دجلةَ والفراتْ...

*

ويعودُ من تَرْحالِه العَبَثيِّ،

لا "ننسونُ" تشفَعُ

لا، ولا "عشتارُ" تَقْنَعُ

هـهُنا أشلاءُ "خمبابا"،

وخلفَ السورِ..مصروعاً..

يفاجيءُ موتَهُ "ثَوْرُ السماءْ"

ويعودُ

(موصَدَةٌ أحاجي الموتِ

يا "جلجامشُ" المسكين. موصَدَةٌ!)

ولا جدوى من الإبحارِ في الظُّلُماتِ

لا جدوى من الإبحارِ في الأنوارِ،

آلٌ..مَحْضُ آلِ

وصدى السؤالِ من السؤالِ

يحثو الرمالَ على الرمالِ..

للحُبِّ كاهنةٌ،

وللأفعى تَجَدُّدُ ثَوْبِها أبداً

ومن ماءٍ لماءْ

لا سرَّ في سرِّ البقاءْ!!

لا سرَّ في سرِّ البقاءْ..

*

يا شهرَ آبِ

هل ظلَّ لي سَفَرٌ على الأهْوالِ؟

هل من مغربٍ للشمسِ؟

لي (جلجامش المسحورِ)

هل من مشرقٍ للشمسِ؟

لي (جلجامش المبهورِ)

هل لي غيرُ هذا الصوتِ،

أمتَحُهُ وَيَمْتَحُني من الأعماقِ،

هذا الصوت: "سافِرْ في الإيابِ!"

من شـهرِ آبِ

ولشـهرِ آبِ

سـافرْ

ليحملَكَ الغيابُ إلى غيابِ..

*

كتفاكَ مُرْهَقتانِ،

أدنى من مَمَرِّ الغيمِ رأسُكَ،

أيها المخذولُ

يا "جلجامشُ" العَبَثيُّ،

هل أدركتَ يا جَسَدي القديمْ

أنّ الحياةَ هي النعيمُ لمن يشاءُ،

أو الجحيمْ؟!

*

جُثمانُ "إنكيدو" المسجّى

عِبْرَةُ الأيّام فيكْ

أنتَ الشريكُ أمِ النقيضُ،

هو النقيضُ أَمِ الشريكْ؟
مرآةُ روحِكَ أنتَ يا جَسَدي
محطَّمةٌ أمامَكْ
وسلامُ "إنكيدو" المغادرِ وَحْدَهُ
للعالَمِ السفليِّ
صار هُنا سلامَكْ!
فادفنْهُ يا "جلجامشُ" المسكونُ بالموتى
ولا تتْرُكْهُ للديدانِ تحت الشمسِ
يا جَسَدي
ويا قَلَقي
ويا روحي وشمسي
في عُرس "إنكيدو" ومأتمِهِ، رأيتُ
رأيتُ لوعَةَ مأتمي وجنونَ عُرسي
ورأيتُ نفسي
ورأيتُ زوبعةَ السؤالِ
تمتدّ من "أرْزِ الشمالِ"

آلاً يباغتُ مَحْضَ آلِ

ومن الرمالِ إلى الترابِ،

من الترابِ إلى الرمالِ

هذا أنا "جلجامش" الإنسان

ثُلثايَ الإلهْ

وَهْمٌ،

وثُلثي للفَلاهْ

جَسَدٌ تغادرُهُ الحياهْ

يَهَبُ الخلودَ لموتِهِ

ويرى بحكمةِ مَيِّتٍ وَضحتْ رؤاهْ

أنَّ الحياةَ هي الحياهْ

أجَلٌ مُسمًّى، لا سواهُ،

ولا سواهُ،

ولا سواهْ..

١٤-٥-٩٩

قصائد الديوان

فاتحة ٥

الودائع ٧

العذراء ٨

اجندة ١٠

صباح الخير ١٢

أغنية حب فلسطينية ١٦

اعلان نوايا ٢٠

سرطان المجد ٢٧

خمس نجوم ٢٩

تعريف ٣٢

مقهانا ٣٣

رخامٌ لموتك ٣٥

موجٌ كثير الكلام ٣٨

بلا فائدة ٣٩

انطفاء كلاوديوس ٤٣

سفينة الفضاء المفقودة ٤٨

رماد السُكّر ٥٠

صورة والدين راحلين على جدار منزل جديد ٥١

تعبُ المعادن ٥٣
وحدوه ٥٤
الشرفة العالية ٥٥
المنفضة ٥٦
مقطع من محضر تحقيق ٥٧
في هجاء ابراهيم ٥٩
تراب ٦١
نساء النبيذ ٦٣
نجوم كعك العيد ٦٥
لغز اغتيال بروفيسور «س» في معهد الفنون الجميلة ٧٢
لا يعرفون السنديان ٧٧
في رثاء ابي الحسن المريني ٨٤
اميرة الآس ٩٤
جمرة ٩٨
كل اسمائهم ٩٩
ايمان ١٠٠
موجة وكثيب ١٠١
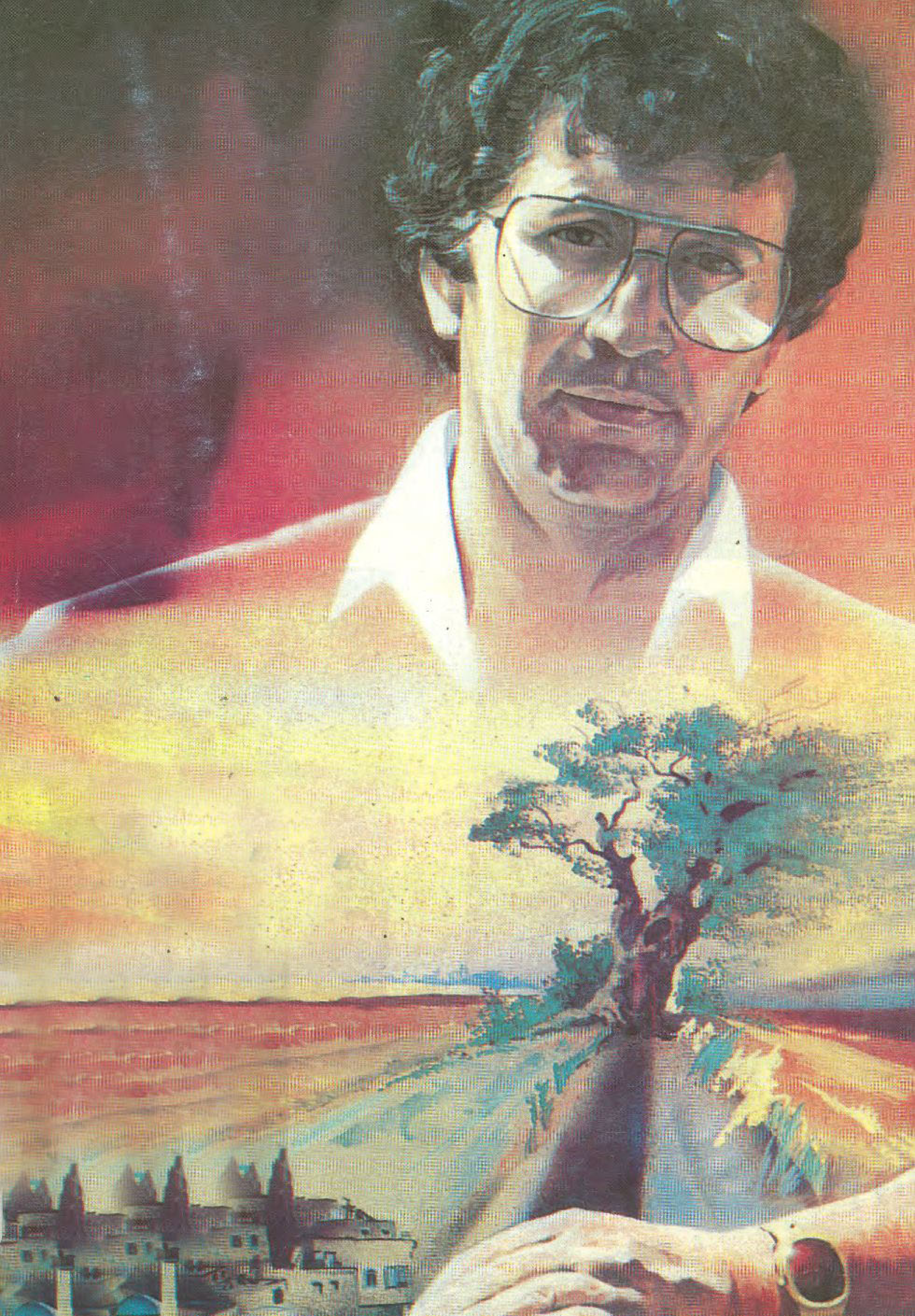
مطر على كشك الصحف ١٠٢
سقطوا ١٠٣
فراقية للاجئين السياسيين في مقاهي اوروبا ١٠٤
الفراء ١١٦
يكفي ١١٩
واحة ١٢٠
باقة ورد ١٢٢
فانتازيا ١٢٣
مريم لاتلديني يا مريم ١٢٧
لحم ١٣٠
خلف حلم ذهب ١٣١
نكوص ١٣٣
عودة ١٣٥
تلك العابرة جسور الاس ١٣٧
اذن، ازرع الحبق في نواويس المومياءات واستعد لسهرتي ١٥٠
سيناريو فيلم صامت (اسود-اسود) من بطولة عبدالمنعم شابلن ١٦٥
في القلب صلاح الدين ١٨٥
البينوني ١٨٦
في هجاء يبرونيوس ١٨٨
ذبائح قانا ١٩٣
٢٠٠٠ ق.م ٢٠٠٠ ب.م ١٩٤
جلجامش ١٩٦